المسيحية الأصيلة

ج. ر. ستوت

دار منشورات النفير

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة – الرجاء التقيد

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إليكترونية

أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل.

يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها

أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الأسباب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المحتويات

المقدمة
الفصل الأول
أولاً: شخص المسيح
الفصل الثاني: دعاوى المسيح
الفصل الثالث : طبيعة المسيح وسجاياه
الفصل الرابع : قيامة المسيح
ثانياً: حاجة الإنسان
الفصل الخامس : حقيقة الخطية وطبيعته
الفصل السادس : نتائج الخطية
ثالثاً: عمل المسيح
الفصل السابع : موت المسيح
الفصل الثامن : روح المسيح وكنيسة المسيح
رابعاً: استجابة الإنسان
الفصل التاسع : حساب النفقة
الفصل العاشر : اتخاذ قرار حاسم
الفصل الحادي عشر : ماذا يعني أن تكون مسيحياً؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المقدمة

يبدي اليوم، عدد كبير من الناس، اهتمامهم بالمسيحية، ويميلون ظاهرياً إليها، لكنهم لا يقتنعون داخلياً، بالحق الذي تحويه، ويرون أنها – عقلياً – ليست جديرة بالإكرام والاحترام،ربما لأنهم تربّوا في بيوت مسيحية، ونشأوا نشأة التسليم بقبولها كما هي بدون فحص، ولكن لما جاءِ الوقت، وفتح أمامهم باب البحث والتنقيب، آثروا أن ينبذوا دين طفولتهم، دون أن يكلفوا أنفسهم، مشقة الدرس و الاستقصاء، عن صلاحها وإثبات صحتها.

وقد جئت بكتابي هذا، لأمثال هؤلاء المسيحيين، الباحثين عن صدق المسيحية وتطبيقها عملياً، دون أن أحاول كتابة مقدمة جامعة شاملة للإيمان المسيحي أو للحياة المسيحية الفضلى،... بل قصرت همي على تقديم بيان واضح صريح عن جوهر المسيحية الأصلية،ولعل نقطة انطلاقنا- أو بالحري ارتكازنا- في هذا البحث، هي شخصية يسوع التاريخية، فقد كان إنساناً، وُلد ونما و عمل، وأكل وشرب ونام، تألم ومات مثل باقي الناس .... ورُبّ سؤال يعترضنا: "هل يسوع المسيح هو الله؟ أو ليست ألوهية يسوع أسطورة بارعة، ابتدعها المسيحيون؟ وهل من دليل يدعم ما أكّده المسيحيون، بأن ابن النجار الذي من ناصرة الجليل، هو ابن الله الوحيد؟"

إن هذا السؤال جوهري، لا يكننا أن نمرّ به مرور الكرام، بل يجب معالجته بكل أمانة ودقة... فلو لم يكن يسوع، هو الله الذي ظهر في الجسد، لانهارت المسيحية من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

أساسها، رأساً على عقب، دون أن يبقى فيها شيء يستحق الذكر، اللهم إلاً بعض الآداب النبيلة الراقية، و الأفكار الجميلة الرائعة، وتكون بذلك فقدت ميزتها الفريدة.

إلا أن هناك من الأدلة والبراهين، على ألوهية يسوع، ما هو من الجودة والقوة والواقع التاريخي، بحيث تقنع الباحث الأمين، وترضيه، دونما تضحية أو تساهل في معرفته العقلية... وبين هذه البراهين القاطعة، دعاوى يسوع، وفيها من الجرأة و الرصانة، ما يثير العجب و الدهشة ... لا سيما فيما يختص بطبيعته و سجاياه الفريدة، التي لا يدانيه فيها الإنسان.

ولئن رأيناه ضيفاً آتياً من عالم آخر، إلاّ أننا نرى قوته و سلطانه، ولطفه ورقته، وبره وحنانه، وعطفه على الأطفال، وحبه للمحتقرين المرذولين، وسلطانه على نفسه، وإنكار ذاته... نرى هذه وقد نالت جميعها إعجاب العالم... وفضلاً عن ذلك، فإن موته، بالطريقة الظالمة الغاشمة، لم يكن نهاية حياته، بل كما يؤكد لنا الكتاب المقدس، بأنه قام من بين الأموات، وأن قيامته، لا يشوبها شك كما أثبتتها البراهين الملموسة.

على فرض أن يسوع هو ابن الله، هل المسيحية الأصلية تعني مجرد التسليم بهذه الحقيقة؟ للجواب على هذا السؤال أقول كلا... لأن بعد الاقتناع بألوهية شخص المسيح، يجب أن نفحص طبيعة عمله... وما هو القصد من مجيئه إلى العالم؟ ويجيب الكتاب عن هذا السؤال، بقوله : "جاء إلى العالم ليخلص الخطاة" — إن يسوع الناصري، هو المخلّص المرسَل من السماء الذي نحتاجه نحن كخطاة... نحتاجه لكي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يغفر خطايانا، ويردّنا إلى الشركة مع الله، الكلي القداسة، الذي فصلتنا عنه خطايانا، و يحررنا من الأثرة والأنانية، ويعطينا القوة أن نحيا الحياة المثلى، ويعلمنا أن نحب بعضنا بعضاً – من أعداء وأصدقاء على السواء – هذا هو معنى "الخلاص"، هذا ما جاء المسيح، لكي يهبنا إياه، بموته وقيامته.

إذاً، هل المسيحية الأصلية، هي الاعتقاد بأن يسوع هو ابن الله، الذي جاء ليكون مخلص العالم؟ كلا! فإنها ليست هكذا... فلا يكفي أن نقبل ونسلم، بأن المسيح شخص إلهي، ولا أن نؤمن بعمل المسيح الخلاصي، لأن المسيحية ليست مجرد عقيدة، لكنها تتضمن العمل... ولئن وصل إيماننا العقلي، درجة تفوق النقد، إلا أنه ينبغي أن نترجم اعتقاداتنا إلى حياة عملية و أفعال حيّة.

فماذا يجب أن نفعل إذاً؟

يجب أن نسلم ذواتنا... وقلوبنا... وعقولنا.. ونفوسنا.. وإرادتنا.. شخصياً.. وبدون تحفظ.. إلى يسوع المسيح... لنتواضع قدامه، ونتوكل عليه كمخلص لنا، ونخضع له كسيّدنا وربنا، ومن ثم نتقدم إلى الصفوف، لنأخذ مكاننا كأعضاء أمناء في الكنيسة، وكمواطنين مسؤولين في المجتمع.

هذه هي "المسيحية الأصلية" وهي موضوع كتابنا، ولكن نحتاج – قبل أن نشرع في بحث البراهين، على ألوهية يسوع المسيح – إلى فصل تمهيدي، يتناول شرح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

"التقارب الصائب" أو معالجة الدعوى المسيحية، القائلة بأننا يمكن أن نجد الله في يسوع المسيح، علاجاً منطقياً سليماً... وجديراً بنا، ونحن ندرس هذه الدعوى، أن نتذكر أن الله نفسه يبحث عنا ويفتش علينا، وبأنه يجب علينا نحن أن نبحث عنه ونطلب.

المؤلف

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الفصل الأول

التقارب الصائب

يبدأ الكتاب المقدس، بأربع كلمات معروفة مألوفة، ألا وهي: "في البدء خلق الله" ... وعساها أعظم من مقدمة لقصة الخليقة، أو لسفر التكوين! فهي المفتاح الذي يفتح بصائرنا لفهم الكتاب المقدس بجملته، كما أنها تنبئنا بأن ديانة الكتاب المقدس،ديانة مبادرة الله، فليس في مقدور الإنسان أن يباغت الله، أو أن يسبقه، ذلك لأنه هو الذي يبدأ أولاً، وهو دائماً هناك "في البدء" وقبل وجود الإنسان، كان الله يعمل، وقبل أن يتحرك الإنسان لكي يطلب الله، طلبه الله أولاً ولا نرى في الكتاب، إنساناً يسعى طالباً الله، بينما نرى الله يسعى وراء الإنسان ليطلبه ... وكم من إنسان يرسم صورة خاطئة لله، ويصوره إلهاً مستريحاً، جالساً فوق كرسي عال ومرتفع، ويعيش بمنأى ومعزل عن البشر، لا يهتم بحاجات الناس، ولا يعيرهم اهتماماً، على أن تزعجه لجاجتهم، ويضايقه صراخهم، فيتحرك لكي يعمل ما هو لخيرهم وفائدتهم، ويكاد هذا الخطأ في التصوير، أن يبلغ حد التجديف.

والحقيقة أن الكتاب يعلنه لنا إلهاً مبادراً، وذلك منذ أمد بعيد، وقبل أن يخطر على بال مثل هذا الإنسان، القابع في ظلمة آثامه، والغارق في بحار خطاياه، أن يلتفت نحوه... ويعلنه الكتاب إلهاً ناهضاً من عرشه، تاركاً أمجاده، سعياً وراء الإنسان.ويمكننا أن نلاحظ عمل الله، الذي يدل على سلطانه وسيادته ومبادرته في عدة طرق، فقد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

تجلت مبادرته في الخليقة، إذ أوجد الكون وكل ما فيه، "في البدء خلق السموات والأرض" (تكوين 1: 1) وأخذ الله المبادرة، في الإعلان، إذ عرّف بني البشر، طبيعته وإرادته لأن "الله بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه" (عبرانيين1: 1، 2) كما أخذ المبادرة في الخلاص، وقد جاء في شخص ابنه يسوع المسيح، لكي يحرر الناس – نساء ورجالاً- من خطاياهم، "مبارك الرب... لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه" (لوقا1: 68) ... ولعلنا نرى في هذه العبارات الثلاث (1) "خلق الله" (2) "وتكلم الله" (3) "وعمل الله" مبادرة الله في ثلاثة ميادين، تكوّن خلاصة للديانة في الكتاب ... وسوف ينحصر حديثنا في هذا الكتاب على الميدانين الثاني والثالث، لأنهما أكثر ارتباطاً بالمسيح والمسيحية، وإن كان الله قد تكلم، فإن آخر كلماته للعالم وأعظمها، هي يسوع المسيح، وإن كان الله قد عمل، يكون فداء العالم في يسوع المسيح، أسمى ما عمله.

لقد تكلم الله وعمل في يسوع المسيح، فقد قال شيئاً وعمل شيئاً، وهذا أن المسيحية، ليست مجرد أقوال تقوية، ولا مجموعة آراء وأفكار دينية، ليست المسيحية مجموعة نظم وقوانين، ولا مختارات من النصائح الأدبية، لكنها "إنجيل" أو "أخبار سارة" كما كتب الرسول بولس، بأنها أخبار الله السارة "عن ابنه... يسوع المسيح" (رومية 1: 1-4) ... وليست المسيحية في الأصل، دعوة للإنسان لكي يعمل شيئاً، ولكنها فوق كل شيء، إعلان عما فعله الله في المسيح لبشر مثل.

لقد تكلم الله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الإنسان مخلوق سؤول، محب للاستطلاع، جُبل عقله على البحث والتنقيب، لا يهدأ له بال، ولكنه عندما يغوص دائماً في أعماق المجهول، جرياً وراء المعرفة، بهمة لا تعرف الكلل، وكأن حياته رحلة استكشاف، دأبه البحث والدرس، والتساؤل والاستقصاء، يلازمه ملازمة الظل للجسد، هذا السؤال : "لماذا؟"

ولكن عندما يبلغ الإنسان في تفكيره، حد البحث عن الله تعالى، يقف حائراً مشدوهاً، يتخبط في الظلام، ويتعثر في دياجير الدجى، فيضيع! وهل في هذه غرابة؟ لأن الله، أياً كان ومهما كان، كائن سرمدي، دائم غير محدود، بينما نحن البشر، كائنات فانية محدودة... إنه فوق إدراكنا، ولذلك مع أن عقولنا آلات عجيبة فعّالة ومتوقدة في الميادين الأخرى، تضحي عديمة النفع في هذا المضمار، فهي أقل من أن ترقى إلى فكر الله السرمدي فلا يوجد سلّم، ولكن يوجد فقط هوّة واسعة لا حد لها، وحقاً قال أيوب: "ألإلى عمق الله تتصل؟" (أيوب 11: 7) أنه لمن المحال أن نحقق ذلك، ولو لم يكن الله، قد بادر وتدارك الأمر، لبقيت الحالة على ما هي عليه، ولظل الإنسان بلا رجاء، يتخبط في دياجير"اللا أدرية"، مثله مثل بيلاطس البنطي وهو يتساءل قائلاً: "ما هو الحق؟" (يوحنا 18: 38) دون أن يتلقى جواباً، ولأصبح هذا الإنسان متعبداً، تجاوباً مع طبيعته، وقد نقش على مذابحه القول: "لإله مجهول" (أعمال 17: 23).

ولكن لقد تكلم الله!!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لقد بادر وأعلن نفسه، فأضحت العقيدة المسيحية للإعلان والوحي، عقيدة معقولة جوهرية، و"كشف" الله أمام عقولنا، ما كاد أن يظل مخفياً عنها لولا ذلك، وعسانا نشاهد جزءاً من هذا الإعلان، في الطبيعة، إذ "السموات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه" (مزمور 19: 1) وأيضاً: "معرفة الله ظاهرة فيهم (أي في الناس) لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق الله العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر" (رومية 1: 19،20) ولعل هذا ما يسمى عادة "الإعلان العام أو الطبيعي".

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، ولكنه يعرّف كل بني البشر في كل مكان، يعرّفهم وجود الله، وشيئاً عن سلطانه الإلهي، مجده وأمانته، ولكن إذا أراد الإنسان أن يعرف الله شخصياً، وأن ينال غفران خطاياه، وأن يدخل في شركة وعلاقة مع الله، ظهرت حاجته أكثر، إلى إعلان عملي حي... وإن ما يحتاج إليه الإنسان، هو أن يكشف له الله نفسه، لاسيما في قداسته ومحبته، وقدرته على الخلاص من الخطيئة، وقد سُرَّ الله أن يفعل ذلك، وهذا نسميه "بالوحي الخاص أو الوحي الفائق الطبيعة" جاء بتعاقب أنبياء العهد القديم ورسل العهد الجديد، ووجد الوسيلة الرئيسية الفعّالة للتعبير عنه، في شخص وعمل ابنه الوحيد، يسوع المسيح.

ويوضح الكتاب هذا النوع من الإعلان ويصفه بالقول: "لقد تكلم الله"... ويعرف الإنسان عادة، ما يجول بفكر غيره بسهولة عن طريق كلامه، وإن ما يصدق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

على الناس، بشأن رغبتهم في الإتصال ببعضهم البعض، يصدق بالأحرى، على الله الذي أعلن ما في فكره غير المحدود، لأفكارنا وعقولنا المحدودة "لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرق الله عن طرقنا وأفكاره عن أفكارنا" (أشعياء 55: 9)...وكان من المستحيل علينا أن نفهمها، لو لم يضعها الله في كلمات، وبهذه الوسيلة وصلت "كلمة الله" إلى أنبياء كثيرين، إلى أن جاء يسوع المسيح أخيراً"والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا" (يوحنا1: 1، 14). وقد كتب الرسول بولس في رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس 1: 21 قولاً مشابهاً لهذا حين قال: "لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف بالحكمة استحسن الله أن يخلّص المؤمنين بجهالة الكرازة" ومن هذا يتضح أن الإنسان لم يعرف الله بواسطة حكمته بل بواسطة "كلمة الله" التي نكرز بها، لم يعرفه بواسطة عقله البشري، بل بواسطة الوحي الإلهي- وإذ أعلن الله نفسه في المسيح، يستطيع المؤمن المسيحي أن يجابه "اللاأدريين" وأصحاب الخرافات والأساطير، بكل جرأة وجسارة، ويقول لهم ما قاله بولس إلى أهل أثينا في أريوس باغوس: "فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادي لكم به" (أعمال 17: 23).

ولعل جانباً كبيراً من الجدل أو الخصومة، القائمة بين العلم والدين، نشأ بسبب جهل هذه الحقيقة أو تجاهلها... فقد تفشل الوسائل العملية في علاج الأمور الدينية، ذلك لأن المعرفة العملية تنمو وتتزايد، عن طريق الملاحظة والتجاوب، وتُبنى على المعلومات المستقاة عن الحواس الخمس الجسدية، وأنّى لهذه أن تصل إلى ما وراء الطبيعة، حيث لا تجدي مثل هذه المعلومات، والاستنتاجات نفعاً، فإن الله- في هذه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الأيام- لا يُلْمس ولا يُسْمع ولا يُرى، بينما جاء وقت، اختاره الله لكي يتكلم فيه، وظهر في جسد بشري يُنظر ويُلمس، ولذلك بدأ يوحنا الرسول رسالته الأولى بقوله: "الذي كان من البدء، الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا... نخبركم به..." (يو 1: 1- 3).

لقد عمل الله

إن أخبار المسيحية السارة، لا تقتصر على تصريح، فحواه أن الله تكلم، ولكنها تؤكد أن الله يعمل، وأنه بادر وعمل بكلتا الطريقتين- القول والفعل- استناداً إلى طبيعة حاجة الإنسان، ونحن البشر لسنا فقط جهلاء، ولكن خطاة، فلا يكفي أن يعلن الله لنا نفسه، لينزع عنا جهلنا، بل ينبغي أن يعمل لكي يخلصنا من خطايانا، وهكذا أبتدأ في أيام العهد القديم أن يفتدي شعباً خاصاً لنفسه، فدعا إبراهيم من أور الكلدانيين وجعل منه أمة، وخلّص تلك الأمة من عبودية مصر، وقطع معهم عهداً، فوق جبل سيناء، واقتادهم في البرية، إلى أرض الموعد، مرشداً ومعلماً لهم كشعبه الخاص... وما هذا كله إلا لإعدادهم لعمله الأعظم، ألا وهو الفداء بالمسيح، فلم تكن حاجة الشعب فقط إلى الخلاص من العبودية في مصر، ولا من السبي في بابل، بل حاجته العظمى إلى الخلاص من الخطيئة –لهذا جاء المسيح مخلصاً، كما قال عنه الكتاب : "وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (متى 1: 21). "صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة" (1 تيموثاوس1: 15) وهو ابن الإنسان "الذي جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(لوقا 19: 10) مَثَله في ذلك مَثَل الراعي الذي أضاع خروفاً واحداً من قطيعه وخرج يبحث عنه حتى وجده (لوقا 15: 3- 7) فالمسيحية هي ديانة الخلاص، ولا يوجد في أديان العالم قاطبة، ما يستحق مقارنته بهذه الرسالة، رسالة الله الذي أحب عالماً مليئاً بالخطاة الأثمة، وسعى وراءهم ومات لأجلهم لكي يخلصهم.

يجاوب الإنسان

"لقد تكلم الله"

"لقد عمل الله"

نجد في الكتاب المقدس سجلاً حافلاً لهذه الأقوال، وهذه الأعمال الإلهية، كما نجد لها تفسيراً. وستبقى هذه جميعها هناك، حتى نقوم بدورنا، والتاريخ كفيل بحفظ هذه الأقوال والأفعال. لكنها يجب أن تنتقل من بطن التاريخ إلى حيّز اختبارنا الحاضر، ويجب أن نخرجها من الكتاب، لنظهرها في حياتنا العملية- "لقد تكلم الله" ولكن هل أصغينا إلى كلامه! "لقد عمل الله" فهل استفدنا من أعماله- وسوف نوضح فيما بعد، ما يجب علينا أن نفعل... ونراه لزاماً علينا الآن، أن نشدد على نقطة واحدة ألا وهي أننا يجب أن نطلب الله، الذي طلبنا- ولا يزال يطلبنا- وإن مخاصمة الله الرئيسية مع الإنسان هي أنه لا يطلب الله: "الرب من السماء أشرف على بني البشر، لينظر هل من فاهم طالب الله. الكل قد زاغوا معاً فسدوا. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (مزمور 14: 2، 3) ولعل من أعظم مواعيد يسوع المشجعة قوله: "اطلبوا تجدوا"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(متى 7: 7) فالطريق الوحيد لكي نجد وننال هي أن نطلب- لقد فتش الراعي على خروفه الضال حتى وجده، وفتشت المرأة على درهمها المفقود حتى وجدته، ولن يكفّ الله عن التفتيش علينا حتى يجدنا... فلماذا نفعل أقل من هذا؟ إن الله لا يطرح درره أمام الخنازير، لذلك يجب أن نطلب، إنه تعالى لا يلعب ولا يمزح معنا، لكنه جادّ في أن نطلبه حتى نجده، ولن يجده سوى الذين يطلبونه ويبكرون إليّ يجدونني".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الفصل الثاني

أولاً: شخص المسيح

دعاوي المسيح

رأينا- فيما تقدم- كيف من الضروري أن نطلب إذا كُنَّا نريد أن نجد، ولكن من أين نبدأ الطلب؟ ولعلَّ المسيحي يجيب قائلاً: "إنَّ النقطة الوحيدة، التي منها ينبغي أن نبدأ، هي شخص واحد فقط، أعني به يسوع الناصري" لأنَّه ما دام الله قد تكلّم، وقد عمل، فيكون كمال القول والعمل، قد تمَّ في يسوع المسيح... ويواجهنا سؤال خطير دقيق وهو: "هل كانَ نجار الناصرة ابن الله؟" ويقودنا إلى المشكلة القائمة، في المسيحية والتي تتلخص في السؤال: "ماذا تظنون في المسيح؟"

هذا هو أول سؤال، خطر ببال الناس، نتيجة لتعليم وعمل يسوع في أثناء خدمته العلنية، وعندما قال للمفلوج: "أيُّها الإنسان مغفورةٌ لكَ خطاياك"، ابتدأ الكتبة والفريسيُّون يفكِّرون قائلين: "مَن هذا الذي يتكلّم بتجديف؟" (لوقا 5: 20، 21) ثمَّ لما أسكتَ الرياح والبحر، تساءلَ تلاميذه، وقد اعترهم الدهشة، قائلين: "من هو هذا. فإنّ الريح أيضاً والبحر يطيعانه" (مرقس 4: 41)- كما أنَّ المتكئين معه في بيت الفريسي، ذُهِلُوا وهم يسمعونه يقول للمرأة الخاطئة "مغفورةٌ لكِ خطاياك" وقالوا: "من هذا الذي يغفر خطايا أيضاً؟" (لوقا 7: 49)- أمَّا هيرودس رئيس الربع في الجليل، فقد ارتابَ عندما سمعَ بجميع ما كان منه، وقال "يوحنا أنا قطعت رأسهُ، فمن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

هو هذا الذي أسمع عنه مثل هذا؟" (لوقا 9: 9) وعندما دخلَ يسوع عاصمة مُلْكِهِ، راكباً على جحش، يقول متّى: "وارتجت المدينة كلّها قائلةً مَن هذا؟" (متّى 21: 10).

ولا يزال هذا السؤال يتردد بين أوساط عديدة في عصرنا الحاضر، ذلك لأنّ شخص يسوع سحر عقول أهل الفكر، ولعلّ مِن أبرز مظاهر الحياة الفكرية في القرنين الأخيرين، ما بدا مِن اهتمامٍ متزايدٍ بحياة يسوع وتعليمه، وما يُبْذَل من جهودٍ جبّارة، لاستكشافِ الحقائق، وسبر غورها، وتقدير خطورتها وأهميتها... هذه هي القصة القديمة الجديدة، التي تزداد جدّة، بمرور الأيام والعصور.

هناك سببان رئيسيان، يدعواننا إلى بدء بحثنا في المسيحية بشخص المسيح وهما.

1- إنَّ المسيحية في جوهرها هي المسيح: فإنّ شخص المسيح وعمله، هما الصخر المتين، الذي يرتكز عليه صرح الديانة المسيحية، فإنْ لم يكن المسيح هو هو كما قال عن نفسه، وإنْ لم يتمم ما قال أنَّه جاء لكي يعمله، لانهار بناء المسيحية الشامخ، وأصبح في خبر كان.. لأنّه لو أخرجنا المسيح من المسيحية، فماذا يبقى؟ إنَّ المسيح هو محور المسيحية وجوهرها، ويهمُّنا بالدرجة الأولى، لا أنْ نبحث فلسفياً في طبيعة المسيح، ولا في قيمة نظامه، ونوعية المستوى الأدبي الذي وضعه، ولكن همُّنا الأول والرئيسي هو ما يتعلّق بطبيعة شخصه وكمال سجاياه، ولقد أحسن الدكتور

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

غريفيث توماس، رئيس قاعة ويكليف في جامعة إكسفورد سابقاً، أحسن صنعاً، إذ استهلَّ كتابه: "المسيحية هي المسيح" بهذه الكلمات: "المسيحية هي الديانة الوحيدة في العالم، التي ترتكز على شخص مؤسسها".. ثم أردفَ قوله باقتباس نقله عن توماس كارليل، مؤرخ وفيلسوف القرن التاسع عشر وهو: "لو ضاعت عقيدة لاهوت المسيح هذه، لزالت المسيحية كما يزول الحلم".

2- لو ثبت أنّ يسوع المسيح شخص إلهي فريد، لانحلّت مشاكل أخرى كثيرة بطبيعة الحال.. وكون المسيح شخصاً إلهياً، يبرهن وجود الله، ويعلن طبيعة الله، كما نجد فيه الجواب للمشكلات المتعلّقة بواجبات الإنسان، ومصيره، والحياة بعد الموت، وغرض وصحة العهد القديم، ومعنى الصليب، لأنَّ يسوع علَّم عن هذه الأشياء، وكان تعليمه كمن له سلطان، لأنَّ شخصه إلهي.

إذاً لا بدَّ أن يبدأ بحثنا بيسوع المسيح. وللوقوف على حقيقته، لا بدَّ لنا من الرجوع إلى الأناجيل، ويمكننا اعتبارها مصادر تاريخية، إذا غضضنا النظر عن أنَّها كتب سماوية موحى بها من الله، وفيها سجل كامل لحياة وتعليم يسوع.

ونرمي من ذلك إلى بيان الدليل، لكي نبرهن على أنَّ يسوع هو ابن الله الوحيد، ولن نقبل أو نرضى عن قرار يعلن ألوهيته بشكل غامض مُبهم، لكن ينبغي أن نثبت لاهوته الفريد– إنّنا نؤمن بعلاقتهِ السرمدية الجوهرية بالله، والتي ليست لأحد سواه، ولا نحسبه إلهاً متنكراً في هيئةِ إنسان، ولا إنساناً تجلّى في صفاتِ إلهية، لكن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

نؤمن إيماناً وثيقاً بأنّه إله متجسد، وأنّه شخص تاريخي، عاش فعلاً بين الناس، له طبيعتان كاملتان- اللاهوت والناسوت- وينفرد بهما إلى الأبد، وهذا مما يجعله، ليس فقط جديراً بعظيم إعجابنا، بل بعبادتنا أيضاً.

هذا الدليل مثلث ويتعلّق: (1) بالدعاوى التي جاهر بها المسيح عن نفسه وسجاياه (2) وطبيعته (3) وقيامته من الأموات وسوف يقتصر بحثنا في هذا الفصل والفصلين التاليين، على هذه المواضيع –ولا يكفي أن نأخذ واحداً من هذا الدليل المثلث، حِجة مسلمّة، بل يجب أن تسير الأدلّة الثلاثة معاً، حتى تصل إلى نتيجة واحدة.

فالشهادة الأولى هي شهادة أقوال المسيح نفسه، ومن المسلّم به، أنّ المسيح الذي يشهد له التاريخ، هو شخص حقيقي، وُلِدَ وعاش ومات.. وهو شخص عجيب، ينسب لنفسه مقاماً فريداً، وإنّ تلك الأقوال والدعاوى، لا تقيم في ذاتها حجة أو دليلاً لإثبات ما يقوله المسيح عن نفسه، غير أنّ هناك ظاهرة تتطلب التعليل، ولذلك رأينا أن نقسم الموضوع إلى أربعة أنواع كما يأتي:

1- مدار تعليم المسيح عن نفسه (مغزى كلمة "أنا" في تعليم المسيح)

إنّ أبرز ظاهرة في تعليم يسوع، هي أنّه كان يتكلم عن نفسه مراراً، ومع أنّه تكلم كثيراً عن أبوّة الله، لكنه كان يعبّر على أنّه هو "الابن" لهذا الآب وأنّه لم يحسب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

خلسةً أن يكون معادلاً له.. كما أنّه كان يجول ويبشر بملكوت الله (لوقا 4: 43) ولكنه اعتبر نفسه، صاحب المكان الفريد في الملكوت، الذي شرفه بمجيئه، ووسعه بأعماله وقدرته، والذي لا سبيل إلى الدخول إليه إلا بطاعة الناس له، وإنّ بين البركات التي منحها لتلاميذه، بركات: "أن يرثوا الحياة الأبدية" و"أن يخلصوا" و"أن يدخلوا ملكوت الله" فليس من الغريب، إذاً، أن نقرأ أحياناً أنَّ ملكوت الله، هو "ملكوت المسيح".. وأنَّه دعا نفسَه "الملك" (مثلاً متّى 13: 14، 16: 28، 20: 21، 25: 31، 34-40، لوقا 23: 42، انظر يوحنا 17: 33-38) ولا شكَّ إنّ أعجب إعلان قدّمه يسوع، هو إعلانه عن نفسه، لأنّ هذا يميّزه عن بقيةِ المعلمين الدينيين الآخرين في العالم، ممن يسعون لإخفاء وستر شخصياتهم، أمّا هو فقد أبرز شخصيته، وهم يشيرون بعيداً عن أنفسهم ويقولون: "ذاك هو الحق الذي نعرفه" أمّا هو فيقول: "أنا هو الحق. اتبعوني"— ولم يتجاسر غيرهُ، أن يقول مثل هذا القول. ومما يلفت النظر، كثرة استخدامه لضمير المتكلم "أنا" فمثلاً قال: "أنا هو خبز الحياة. من يقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً" (يوحنا 6: 35) "أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد (يوحنا 11: 5، 26) "أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي" (يوحنا 14: 6) "أنا هو نور العالم" (يوحنا 8: 12).

وعسانا نلاحظ أنَّ الجزء الأول من تعليمه، يقودنا إلى هذا السؤال الخطير العظيم: "وأنتم من تقولون أني أنا؟" (مرقس 8: 29) ولقد أكدَّ دعواه بقوله: "إنَّ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

إبراهيم رأي يومه وفرح" (يوحنا 8: 56) "وإنَّ موسى كتب عنه" (يوحنا 5: 46) "وإنَّ الكتب تشهد له" (يوحنا 5: 39)– وإنَّ الثلاثة أقسام العظمى في العهد القديم– أي الناموس والأنبياء والمزامير –كتبت عنه (لوقا 24: 27، 44) وها نحن نرى لوقا يصف بإسهاب، الزيارة التي قام بها يسوع إلى الناصرة وطنه، حيث كان قد تربَّى، ولمَّا دخل المجمع، دُفِعَ إليه الدَرَج، ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوباً فيه: "روح الرب عليّ لأنّه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية وأكرّز بسنّة الرب المقبولة" (لوقا 4: 18-19، أشعياء 61: 1-2) ثمَّ طوى السفر وسلّمه إلى الخادم وجلس، وكانت عيون جميع الذين في المجمع شاخصةً إليه، وصمت الجميع كأنَّ على رؤوسهم الطير "فابتدأ يقول لهم إنّه اليوم قد تمَّ هذا الكتاب في مسامعكم" أو بعبارة أخرى كأنّه يقول: "إنّ أشعياء كان يتكلم عني" .

وليس بالغريب على شخص، له هذه الثقة والعقيدة في نفسه، أن يدعو الناس إليه... وحقيقة الأمر، لم تكن مجرد دعوة، لكنه أمر أصدره في قوله: "تعالوا إليّ" و "اتبعني" وقد وعد الذين يأتون إليه بالراحة "وأنا أريحكم" وذلك برفع أثقالهم وأتعابهم عنهم (متى 11: 28-30) وبإشباع الجياع (يوحنا 6: 35) وبإرواء الظمأ (يوحنا 6: 35، 7: 37) وأكثر من ذلك، كان على أتباعه أن يطيعوه وأن يعترفوا به قدّام الناس، وقد بلغ التلاميذ من الإدراك ما جعلهم يعترفون ويقرون بحق المسيح الكامل، في دعاويه الجامعة، حتى أنّ بولس وبطرس ويعقوب ويهوذا، سُرُّوا أن يلقّبُوا أنفسهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

في رسائلهم "بعبيده"، وزد على ذلك، فقد جعل يسوع نفسه، الموضوع المناسب لإيمان الإنسان ومحبته، وقد دعا الناس لكي يؤمنوا به وقال: "هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله" (يوحنا 6: 29) "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية" (يوحنا 3: 36) فإذا اعتبرنا الإيمان به، الواجب الأول على الإنسان، لاعتبرنا عدم الإيمان به، خطية الإنسان الرئيسية (يوحنا 8: 24، 16: 8، 9) ومع أنَّ الوصية الأولى والعظمى هي "أن تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك" إلاّ أننا نرى يسوع يطالب بكل ثقة بمحبة الإنسان له ويقول: "كل من أحب أباً أو أماً أو ابناً أكثر مني فلا يستحقني" (متى 10: 37) كما قال في لوقا 14: 26 "إن كان أحد يأتي إليِّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وأخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً" ... حاسباً أنّه والآب واحد.

وقد بلغ الأمر بيسوع من حيث ثقته واقتناعه من مكانه الرئيسي في قصد الله، بلغ به حدّاً جعله يأخذ على عاتقه، أن يرسل شخصاً ليحل محله بعد صعوده إلى السماء، إلاّ وهو الروح القدس وقد دعاه "المعزّي" (باراكليت Paraclete) وهي تسمية مشروعة، ومعناها المحامي، أو مستشار الدفاع، وبذلك يكون عمل الروح القدس، الدفاع عن قضية يسوع أمام العالم، وقال يسوع عنه: "هو يشهد لي" (يوحنا 15: 26) ثمَّ "ذاك يمجدني لأنّه مما لي ويخبركم" (يوحنا 16: 14) وتختص شهادة الروح القدس بيسوع المسيح، كما أنَّ إعلان الروح القدس للكنيسة يختص بيسوع المسيح أيضاً هذا الذي تنبأ قائلاً: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض، أجذب إليّ الجميع" (يوحنا 12: 32) فقد عرف أنّ للصليب تأثيراً مغناطيسياً أدبياً على البشر، نساءً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ورجالاً، ولم يقصد باجتذابهم أن يجذبهم إلى الكنيسة أو إلى الحق أو إلى البر بل إلى نفسه أولاً... وبه يأتون إلى الكنيسة وإلى الله.

ولعلّ أبرز حقيقة في هذا التعليم، الذي يدور حول شخص الناطق به، هي أنه صدر عن "الواحد" الذي أوصى الآخرين مشدداً على التواضع.. وقد وبّخ تلاميذه لأنهم يطلبون نفوسهم ويحبّون ذواتهم، واضطرب إذ رآهم يتشاجرون في من يكـــون عظيماً، أفلا يمارس عملياً ما يكّرز به؟ لقد أخذ ولداً وأقامه في وسطهم مثالاً لهم، فهل كان له مقياس خاص به يختلف عن غيره؟

2- دعاوي المسيح المباشرة:

من الواضح أنّ يسوع اعتقد بأنه المسيا الذي تنبأ عنه العهد القديم، واعتـــبر خدمته إتماماً لتلك النبوات، وقد جاء لكي ينشئ ملكوت الله، الذي أخبر عنه الأنبياء قديماً، ومما يستحق كبير الاهتمام، أنّ أول كلمة سجلها الوحي لخدمة المسيح العلنية، هي "كَمُلَ"، كما وردت في أول عبارة وهي "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله" (مرقس 1: 15) واتخذ لنفسه لقب "ابن الإنسان" وهو لقب من ألقاب المسيا المقبولة، والمشتقة من إحدى رؤى دانيال –وقد قبل يسوع الوصف "ابن الله"، عندما تحـــداه رئيس الكهنة (مرقس 14: 61، 62) وهو لقب متعلق بالمسيا، مأخوذ عن مزمور 2: 7، وفسّر إرساليته في ضوء الصورة التي رسمها أشعياء، صورة عبد الرب المتألم، وقد بلغت المرحلة الأولى من تعليمه ذروتها، في قيصرية فيلبس، عندما اعترف سمعان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بطرس، بإيمانه أنّ يسوع هو المسيح (مرقس 8: 27-29) وبينما ظنّه البعض واحداً من الأنبياء، أكدّ بطرس أنّه هو هو عين الشخص الذي تنبأ عنه الأنبياء قديماً.

فلم يكن مجرد إنسان بين رفاقه، ولكنه هو الشخص الذي إليه تتجه أنظار وقلوب الجميع، وكان "الإتمام" أو "الإكمال" هو الطابع الذي امتازت به خدمة المسيح وإرساليته، وهذا نفس ما قاله لتلاميذه على انفراد: "طوبى للعيون التي تنظر ما تنظرونه. لأنّي أقول لكم إنّ أنبياء كثيرين وملوكاً أرادوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا" (لوقا 10: 23، 24) (قابل أيضاً متى 13: 16، 17).

ولكن هذه الدعاوى المباشرة التي نحن بصددها الآن، لا تشير إلى المسيح بصفة كونه المسيا فحسب، بل تشير أيضاً إلى لاهوته. فقد جاهر أنّه ابن الله، لا بوصفه المسيا فقط، بل أيضاً بالنسبة لعلاقته الفريدة الأزلية مع الله الآب، وها نحن نورد ثلاثة أمثلة، بهذا الصدد: نذكر أولاً، علاقته الوثيقة بأبيه "الله".. وقد ورد ذكرها مراراً وتكراراً، وها نحن نرى يسوع في سن الثانية عشرة، وقد أدهشت أبويه– حسب الجسد –غيرته المتقدة على ما لأبيه السماوي (لوقا 2: 49) وأيضاً قوله: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يوحنا 5: 17) "أنا والآب واحد" (يوحنا 10: 30) "أنا في الآب والآب فيّ" (يوحنا 14: 10، 11) "إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً" (يوحنا 14: 23) ومن المسلّم به أنَّ يسوع علَّم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

تلاميذه أيضاً أن يخاطبوا الله "كأب" ولكن شتّان بين بنوة المسيح لله، وبنوتنا نحن.. وقد فرّق يسوع بين الاثنتين، فعندما تكلم عن الله، كان يقول "أبي" (متى 18: 10، 19: 35، 7: 21، 20: 23، 26: 53) لذلك خاطب مريم المجدلية بقوله: "إني أصعد إلى أبي وأبيكم" (يوحنا 20: 17) و لم يكن بالإمكان أن يقول: "إني أصعد إلى أبينا"— ومع أنَّ هذه الآيات مأخوذة من إنجيل يوحنا، إلاّ أننا نرى يسوع، وقد جاهر بهذه العلاقة الفريدة— علاقة المسيح بأبيه— في إنجيل متى 11: 27 أيضاً حيث يقول: "كل شيء قد دفع إليَّ من أبي، وليس أحد يعرف الابن إلاّ الآب، ولا أحد يعرف الآب إلاّ الابن، ومن أراد الابن أن يعلن له". إلاّ أنّ حنق اليهود وغيظهم، بدا قوياً واضحاً في قولهم: ".. جعل نفسه ابن الله" (يوحنا 19: 7) وجاء نتيجة لدعوى المسيح بشأن علاقته الوثيقة بالله، حتى أنّه وضع على قدم المساواة، موقف الإنسان نحو الله، وموقف الإنسان نحو المسيح وقال: "لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً"— فمعرفته هي معرفة الله (يوحنا 8: 19، 14: 7) كما أنّ رؤياه هي بعينها رؤية الله الآب "الذي يراني يرى الذي أرسلني" (يوحنا 12: 45، 14: 9) والذي يؤمن به، يؤمن بالله (يوحنا 12: 44، 14: 1) ومن يقبله يقبل الله (مرقس 9: 37) ومن يبغضه يبغض الله (يوحنا15: 23) ومن يكرمه يكرم الله (يوحنا 5: 23).

ولننتقل الآن من وجه التعميم إلى وجه التخصيص، وإلى علاقة يسوع الشخصية، الوثيقة بالله الآب، ولتوضيحها نورد مثلين آخرين:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المثل الأول جاء في الإصحاح الثامن من إنجيل يوحنا، عندما اشتد الجدل مع اليهود، في قول يسوع: "الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد" ع 51 ولما لم يحتمل أعداؤه هذا القول، أجابوا قائلين: "قد مات إبراهيم والأنبياء..ألعلك أعظم من أبينا إبراهيم... من تجعل نفسك.. (52-53)" وأجاب يسوع وقال: "أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح.. فلمّا سمع اليهود ذلك ازدادت حيرتهم وقالوا: ليس لك خمسون سنة بعد، أفرأيت إبراهيم؟" فأجابهم يسوع بعبارة أفحمتهم قائلاً: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يوحنا 8: 51-58) فرفعوا حجارة ليرجموه، لأنّ ناموس موسى أوصى برجم المجدّفين، وقد اعتبروا كلام يسوع تجديفاً.. فما الذي حسبوه تجديفاً؟

إنّ أول ما خطر على البال قوله: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" هذا ما جاهر به يسوع، في مناسبات عديدة، وأيضاً قوله إنّه مُرسَل من الآب، وإذ ننعم النظر نرى أنه لم يقل: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كنت" بل قال "أنا كائن"... ولعلّ هذا يعني إقراره بوجوده، ليس فقط قبل إبراهيم، بل منذ الأزل، كما أنّ في هذا القول: "أنا كائن" ما هو أعمق من هذا، لأنّ فيه إقراراً بألوهيته... لأنّ هذا هو ذات الاسم الذي أعلنه الله لموسى عند العليقة في البرية، إذ قال إنّ اسمه هو "أهيه الذي أهيه" أي "أنا الذي أنا" وهو نفس القول "أنا الكائن" "أهيه أرسلني إليكم" (خروج 3: 14) وقد نسب يسوع لنفسه هذا السم، وكلّه طمأنينة وثقة... من أجل هذا رفع اليهود حجارة لكي يرجموه إذ حسبوه مجدِّفاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المثل الثاني بشأن دعواه بألوهيته: هذا ما حدث بعد القيامة فإنه بعد ثمانية أيام من القيامة، كان التلاميذ في العلية، وتوما معهم، عندما جاء يسوع والأبواب مغلقة، ووقف في الوسط، وبعد أن حيّاهم، قال لتوما: "هات إصبعك إلى هنا وأبصر يديّ، وهات يدك وضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمن، بل مؤمناً، واعترت توما دهشة وحيرة فصرخ قائلاً: "ربي وإلهي" (يوحنا 20: 26-29) وقد وبخ يسوع توما لعدم إيمانه – مؤيداً هذا الاعتراف.

3- دعاوي يسوع الغير المباشرة:

أيّدَ يسوع دعواه بالألوهية، بوسائل غير مباشرة، كما سبقَ وأيّدها بالوسائل المباشرة، فإنَّ خدمته– وما تضمنته من أعمال –شهادة واضحة صريحة، لها من القوة والتأثير ما لكلماتهِ وأقوالهِ... فقد قام بأعمال– في مناسباتٍ عديدةٍ –لا يقدر أن يعملها إلاَّ الله، ونسب لنفسه بعض الامتيازات الإلهية، نكتفي بذكر أربعة منها فقط:

(1) دعواه بغفران الخطايا:

غفر يسوع الخطايا في حادثتين مختلفتين، أولاهما: لما قُدِّم إليه المفلوج، مُدلّى مِنَ السقف بأربعة حبال،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وقد رأى يسوع أنَّ حاجة ذلك الإنسان روحية، أكثر ممّا هي جسدية، فأَذهلَ جميع الحاضرين حين قال له: "يا بني مغفورةٌ لكَ خطاياك (مرقس 2: 1-12) والثانية: عندما غفرَ خطايا المرأة الخاطئة، وهو مُتكّئ في بيت رجل فريسي، وقد جاءت بقارورةِ طيب، ووقفت عند قدميه من ورائه باكية، وابتدأت تَبُّل قدميه بالدموع، وكانت تمسحهما بشعر رأسها، وتُقبِّل قدميه وتدهنهما بالطيب... فقال لها يسوع: "مغفورةٌ لكِ خطاياك" (لوقا 7: 36-50).

وفي كلتا الحادثتين، ملأتْ السامعين حيرة ودهشة، وتساءلوا في أنفسهم قائلين: "من هذا الذي يغفر خطايا أيضاً؟ ما هذا التجديف؟ من يستطيع أن يغفر خطايا إلا الله وحده؟" وربما بَدَتْ كلماتهم – في ظاهرها- صحيحة في نظرهم، لأنَّه عادةً، يمكننا نحن البشر، أنْ نسامح إساءات الآخرين إلينا، ولكن الله وحده هو الذي يقدر أنْ يغفر الخطايا التي نرتكبها نحن ضدَّه تعالى.

(2) دعواه بمنح الحياة:

وصف يسوع نفسه بأنّه "خبز الحياة" (يوحنا 6: 35) وبأنّه "الحياة" (يوحنا 14: 6) وبأنّه "القيامة والحياة" (يوحنا 11: 25) وقد شبّه اعتماد شعبه عليه، باعتماد الأغصان على الكرمة، وقدَّم للمرأة السامرية "ماء الحياة" (يوحنا 4: 10-15) ووعد الشاب الغني بالحياة الأبدية إذا تَبِعَهُ (مرقس 10: 17، 21) ودعا نفسه "الراعي الصالح" الذي يضع نفسه عن الخراف، والذي يعطيها الحياة الأبدية (يوحنا 10: 28) وأعلن أنَّ الله أعطاه سلطاناً على كلِّ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

جسد ليعطي حياة أبدية، للذين أعطاه إيَّاهم الله (يوحنا **17: 2**) **ونادى قائلاً: "كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء"** (يوحنا **5: 21**).

كانت هذه الدعوى واضحة قويّة، حتى أنّ تلاميذه أدركوا حقيقته، واستبعدوا أن يفكّروا في تركه، بدليل قول بطرس: "إلى من نذهب كلام الحياة الأبدية عندك" (يوحنا 6: 68) وعسانا نرى أهمية هذه كلها، لأنّ الحياة لغز وإنَّ بها –جسدية كانت أم روحية –من الغموض ما يحيِّر الألباب، إنَّ في طبيعتها أو أصلها، فلا يستطيع المرء أنْ يحدّد ماهيتها، ولا أنُ يقول مِنْ أين تأتي، ولا يمكننا إلاّ أن ندعوها هبة إلهية، وهذه هي العطية التي منحنا إيّاها يسوع.

(3) دعوى بتعليم الحق:

إنّ الحقائق السامية التي علَّمها يسوع، لا تسترعي ذات الاهتمام، الذي يسترعيه أسلوبه الصريح الواضح، الذي يأخذ بمجامع القلوب، ويسحر الألباب، حتى أنّ معاصريه، تأثروا تأثيراً قوياً، من حكمته وقالوا: "من أين لهذا هذه كلّها؟ وما هذه الحكمة التي أُعطِيَتْ له؟ أليس هذا هو النجار ابن مريم؟" (مرقس 6: 2، 3) "كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلّم؟" (يوحنا 7: 15) ولا شكّ أنّهم لاحظوا كلمات النعمة الخارجة من فمهِ! (لوقا 4: 22).

كما أنَّ سلطانه، ترك في نفوسهم أثراً أكبر فقالوا: "لم يتكلم قطُّ إنسان هكذا مثل هذا الإنسان" (يوحنا 7: 46) "وبُهِتُوا من تعليمه لأنَّ كلامه كان بسلطان"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(لوقا 4: 32) وقد جاء في ختام الموعظة على الجبل هذه الكلمات: "فلما أكمل يسوع هذه الأقوال، بُهِتَتْ الجموع مِنْ تعليمه، لأنّه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة" (متى 7: 28، 29).

ولم يكن سلطانه سلطان نبي، استمدّه من غيره، بل كان سلطاناً أصيلاً، فلم يستخدم في حديثه العبارة القائلة: "هكذا يقول الرب" بل كان يقول: "الحقَّ الحقّ أقول لكم" ومع أنّه ذكر بصراحة أنّ تعليمه ليس له بل للآب الذي أرسله (يوحنا 7: 17، 18) إلاّ أنّه كان يعلم يقيناً أنّه الوسيلة الفعّالة المباشرة، للإعلان السماوي، مما جعله يخاطب الجموع، وكلّه ثقة في نفسه، فلم يتردد في كلامه، ولم يعتذر عن أي شيء، كما لم ينقض شيئاً مما سبق وقاله، ولم يتراجع عن شيء أو يعدّله، لأنّه كان يتكلم بكلام الله (يوحنا 3: 34) وفي حديثه عن المستقبل، بدا واثقاً مما يقول، كما أنّه نطق بوصايا أدبية رفيعة، منها "أحبوا أعداءكم" (متى 5: 44، لوقا 6: 27) "لا تهتموا للغد" (متى 6: 34) "لا تدينوا لكي لا تدانوا" (متى 7: 1) وأمّا وعوده مثل "اسألوا تعطوا" (متى 7: 7، لوقا 11: 9) فلم يشكّ بتاتاً في إتمامها، كما أنّه أكدّ أنّ كلامه أبدي، ثابت مثل الناموس، ولا يزول حرف منه (مرقس 13: 31 قابل متى 5: 18) وأنذر سامعيه مشدداً على أنّ مصيرهم الأبدي، متوقف على مدى طاعتهم لأقواله، كما توقف مصير الشعب قديماً، على طاعتهم لأقوال الله (متى 7: 24-27، يوحنا 12: 48).

(4) دعوى دينونة العالم:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ربما كانت هذه، أقوى دعوى قدّمها المسيح، وقد تضمنت بعض أمثاله، فكرة مجيئه الثاني إلى العالم، وأنَّ يوم الدينونة قد يُؤجَّل حتى يجيء، فهو الذي سيُقيم الموتى (يوحنا 5، 28، 29) وإنَّ كلَّ الأمم والقبائل والألسنة، سوف تجتمع قُدَّامَهُ، وسوف يجلس على كرسي مجده، ويعطيه الآب كلّ الدينونة (يوحنا 5: 22) حينئذٍ سيميز الناس بعضهم عن بعض، كما يميز الراعي الخراف عن الجداء، ويدعو البعض لكي يرثوا الملكوت المعد لهم منذ تأسيس العالم، بينما يخاطب البعض الآخر قائلاً: "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته" (متى 25: 31-46) ولا يقتصر الأمر على أن يكون يسوع ديّاناً فحسب، بل إنه يحاسب البشر على موقفهم منه، بالنسبة لموقفهم من "إخوته الأصاغر" الذين هم أتباعه العاملون مشيئة الله (مرقس 3: 35) أو بالنسبة لإجابتهم لدعوته وإطاعتهم لوصاياه (يوحنا 12: 47، 48) وإن الذين اعترفوا به قدام الناس، يعترف به قدام أبيه الذي في السموات، والذين أنكروه، ينكرهم هو أيضاً (متى 10: 32، 33) ويكفي أن يقول يسوع لإنسان ما: "لم أعرفك" (متى 7: 23) في اليوم الأخير، ليحرمه من دخول السماء.. وما أعظم هذا القول، وما أبعد تأثيره ومداه! تصوروا واعظاً يقف على المنبر، ثم يخاطب سامعيه هكذا: "اسمعوا! أصغوا بكل انتباه إلى ما أقول! لأن مصيركم الأبدي، يتوقف على مدى سماعكم لكلامي، والعمل به، وسوف أرجع عند انتهاء العالم، لكي أناديكم، واعلموا أن نصيبكم الأبدي يتوقف على مدى طاعتكم لي"... لو حدث هذا، فلن يمر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وقت طويل، حتى يلقى القبض على مثل هذا الواعظ، أو أن يرسل– كمخبول– إلى مصّحة الأمراض العقلية للعلاج.

4- دعاوي المسيح المعجزية العملية:

بقي علينا فقط، أن نتأمل في معجزات المسيح، التي يمكن تسميتها بـدعاوي المسيح المعجزية، وليس هنا مجال البحث الدقيق عن إمكانية وقصد المعجزات، بـل نكتفـي بالإشـارة، إلى أن قيمتـها تظهـر في أهميتـها الروحية،أكثر من كونها فائقة للطبيعة، فإنها "علامات" بل "آيات" لم تجرِ عرضـاً وبدون معنى، ولا غايات ذاتية أنانية، و لم يكن القصد منها، إرغام الناس على الخضوع والتسليم، ولا لمجرد إظهار القوة الجسدية، ولكنها دلائل السلطة الأدبية –فهـي في الواقع أمثال يسوع العملية. التي تُظهر للعيان دعاويه أو بعبارة أخرى، هي أعماله التي تمثل كلماته وأقواله... هذا ما رآه الرسول يوحنا جلياً، فاختار منها بضع آيات، نواة لإنجيله (يوحنا 20: 30، 31) رابطاً إياها بمجموعة التصريحات والعبارات التي بدأها بالقول: "أنا هو" وأولها معجزة تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل، ولا تقـوم أهميتها على ظاهرها، بل تذهب إلى أعمق من هذا، فقد سجل يوحنا أنه كانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك "حسب تطهير اليهود" (يوحنا 2: 6) ولعلنا نرى في هذه العبارة المفتاح الذي نبحث عنه، فقد كان الماء هنا– كما كانت بئر يعقوب في الإصحاح الرابع من إنجيل يوحنا– رمزاً لديانة العهد القديم، مليئـاً بالـذكريات والروابط القديمة، كما أن الخمر كانت ترمز إلى ديانة يسوع، فكما أنّ المسيح حوّل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الماء إلى خمر، هكذا الإنجيل سيحوّل الناموس ويحل محله... وقد أثبتت هذه الآية قدرة المسيح على إحلال النظام الجديد، ذلكم لأنه هو المسيا، كما صرّح بعد قليل للمرأة السامرية بقوله: "أنا... هو" (يوحنا 4: 26).

وهكذا أيضاً، في إشباعه الخمسة الآلاف، أوضح يسوع دعواه بإشباع جوع القلب البشري وقال: "أنا هو خبز الحياة" (يوحنا 6: 35) وبعد قليل فتح عيني المولود أعمى، مؤيداً ومؤكداً، ما سبق وقاله: "أنا هو نور العالم" (يوحنا 8: 12)...فإن كان قد فتح عيني الأعمى، ألا يستطيع أن يفتح عيون البشر لكي يبصروا الله ويعرفوه؟ وقد أعاد للحياة إنساناً اسمه لعازر، بعد أن بقي في القبر أربعة أيام وقال: "أنا هو القيامة والحياة" (يوحنا 11: 25) وإنّ إحياء الميت معجزة فائقة وقد أشارت حياة الجسد هنا، إلى حياة النفس والروح، فإن يسوع هو حياة المؤمن المسيحي في هذه الحياة الدنيا، قبل الموت، كما أنه القيامة للمؤمن المسيحي بعد الموت، وما جميع هذه المعجزات سوى أمثال، لأنّ البشر جياع روحياً، وعمي وأموات، ولا يستطيع أن يشبع جوعهم أو يفتح عيونهم أو يقيمهم إلى جدة الحياة سوى يسوع المسيح وحده.

الخلاصة

ليس في الإمكان أن نترك هذه الدعاوى، من تعليم نجّار الناصرة، فلا يمكن القول أنها من اختراع البشيرين، أو أنه مبالغ فيها بدون قصد، وقد توزعت توزيعاً عادلاً واسعاً في الأناجيل المختلفة وفي مصادرها، كما أن شخص هذا المعلم، أثبت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وأكثر اتزاناً، من أن يكون من نسج الخيال.. فالدعاوى قائمة، وهي في ذاتها لا تقيم الدليل الكافي على ألوهيته، وقد تكون الدعاوى باطلة، ولكن لا بد من إيجاد تفسير للأمر... فليس في وسعنا بعد ذلك أن نعتبر يسوع معلماً عظيماً، لو أنه أخطأ هـذا الخطأ الفاحش في موضوع رئيسي من تعاليمه، أعني به شخصه..

وقد قال أحدهم: "إن التناقض القائم بين عمق تعاليم المسيح الأدبية وتعقلـها واتزانها، وبين حماسته المتأججة على نفسه، الكامنة وراء تعاليمه اللاهوتية، لا يمكن أن تفسر إلا بكونه الإله الحق".

وهل حاول أن يستميل الناس إلى آرائه، بانتحال سلطان إلهي، لم يكن حائزاً عليه؟! هذا ما يصعب تصديقه- فهناك شيء عن يسوع، لا عيب فيه، فقد كره الرياء في الآخرين، وكان مخلصاً كل الإخلاص لنفسه.

فهل كان مخلصاً في غروره؟

لا حاجة لنا أن ندعوه مختلاً، ولكن هل كان مغروراً في نفسه بشكل لا يمكن إزالته من مخيلته؟ إن لهذا الرأي من يؤيده بشدة... ولكن يبدو أن أصحاب هذا الرأي، كثر غروراً بأنفسهم من يسوع. إن يسوع لا يترك فينا فكرة اتهامه بالشذوذ، الذي نراه في المغرورين المخدوعين بأنفسهم... لأن سجاياه وصفاته تؤيد أقواله ودعاويه، ولذلك سوف نوالي بحثنا في هذه الدائرة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الفصل الثالث

طبيعة المسيح وسجاياه

وصلتني- منذ بضع سنوات- رسالة من شاب، عرفته معرفة سطحية، قال في رسالته: "لقد اكتشفت اكتشافاً عجيباً عظيماً، وهو أن الله القادر على كل شـــيء، كان له ابنان: الأول هو يسوع المسيح، والثاني هو أنا". أخذت الرسالة فاحصاً، وإذا بي أجد أنها صادرة عن أحد مصحات الأمراض العقلية ...

كم من أدعياء في هذا الوجود، يدّعون العظمة والتأليه.. قد غصّـــت- بـــل ضاقت بهم- مصحات الأمراض العقلية، فهذا يدعي أنه يوليوس قيصر، وذاك يحسب نفسه رئيساً كبيراً، أو ملكاً أو إمبراطوراً، وآخر يدعي أنه يسوع المسيح.. ولكن من ذا الذي يسير في ركابهم، أو يصدق ادعاءاتهم، سوى نفوسهم المريضة... وليس لهم أتباع، اللهم من كان مريضاً مثلهم، ذلكم لأن حياتهم لا تؤيـــد أقـــوالهم، فيفشـــل إدعاؤهم، ويظهر كذب افترائهم.

ومما يدعم إيمان المسيحي بمسيحه، إنّ المسيح كان واحـــداً، قـــولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً، فلم يكن من تناقض بين أقواله وأعماله، وبين كلامه وحياته، فقد كان المسيح فريداً عجيباً، وقال عنه أحدهم: "إننا نشعر باستياء واشمئزاز، إذا ما وضع اسم يسوع المسيح، بين أسماء البشر أمثال كونفوشيوس وبوذا وغوتيه، لأنه أسمى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

من أن يوضع في قائمة البشر، أو على قدم المساواة مع الناس، لأن يسوع ليس فـــرداً بين مجموعة العظماء في العالم، ولك أن تتحدث ما شئت عن الإسكندر الأكـــبر أو شارلمان أو نابليون... ولكن تذكر أن يسوع أعظم وأسمى، فهو ليس العظيم فحسب بل هو الوحيد، إنه يسوع.... وهو فوق إدراكنا وفوق مستوانا، أرفع وأعلى من أن نتناوله بالتحليل والتمحيص، لأنه هو الذي يمحصنا ويفحصنا، هو الذي أمامه يتقلص انتقادنا، وهو الذي يرعب أرواحنا.

ويروى عن تشارلس لام قوله: "لو دخل شكسبير إلى هذه الغرفة، لأســـرعنا جميعاً لملاقاته، ولكن لو جاء "الواحد" إليها، ينبغي أن نسقط على وجوهنا، ونحاول جادّين أن نقبل ولو هدب ثوبه".

ويهمنا في الدرجة الأولى، أن نبيّن بأنّ يسوع يف في صفٍ وحده، فلا يجب أن نرضى بأن يقال عنه "أعظم إنسان في التاريخ" ولا نستطيع أن نتحدث عن يسوع في صيغة المقارنة والتفضيل، فالقضية أمامنا، ليست قضية مقارنة أو مقابلة، بقدر ما هي قضية تعاكس وتناقض، وقد سأل يسوع الشاب الغني قائلاً: "لماذا تدعوني صـــالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلاّ واحد وهو الله" وكان ينبغي أن نجيب بالقول: "هـــذا صـــحيح وبالضبط، فليس الأمر، إنك أفضل من الآخرين، ولا حتى إنك أفضل الجميع، بل إنك صالح.. صالح بكل معنى الكلمة، صالح كل الصلاح الذي في الله".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

إنّ هذه الدعوى هامة، فالخطية مرض مزمن معدٍ بين البشر، وقد ولدنا، والعدوى في طبيعتنا "هوذا بالإثم صورت وبالخطية حُبِلَت بي أمي". والخطية مرض عام، إذاً بما أنّ يسوع الناصري، كان بلا خطية، فلا يمكن أن يكون مجرد إنسان مثل باقي الناس.. ومادام بلا خطية، فهو يختلف عني وعنك، لقد كان فائق الطبيعة وكما قال الأستاذ جايمس داني، عميد الكلية الحرة في غلاسكو، في كتابه: "دراسات في اللاهوت" "إن انعزال المسيح عن الخطاة، ليس بالأمر الهيّن البسيط، لكنه على خطورة بمكان، لأنه يتضمن معنى الفداء، وهي الفضيلة التي لولاها، لما صار أهلاً لأن يكون مخلصاً بل لأصبح هو نفسه، في حاجة إلى الخلاص مثلنا".

ومن المفيد أن نلخص البراهين على أنّ المسيح بلا خطية، تحت أربعة مواضيع:

1- ماذا فكّر المسيح نفسه:

صرّح المسيح أكثر من مرة، تصريحات مباشرة، فحواها أنه بلا خطية، ففي حادثة المرأة التي أمسكت وهي تزني في ذات الفعل، عندما أحضروها إلى يسوع، تحدّى المشتكين عليها وأخجلهم بقوله: "من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر" فخرجوا واحداً فواحداً، وبقي يسوع وحده، والمرأة واقفة في الوسط (يوحنا 8: 1-11).

ويعود يسوع في ذات الإصحاح، ليتحداهم مرة ثانية قائلاً: "من منكم يبكتني على خطية؟" (ع 46) ولم يجرؤ أن يجيبه أحد، وانسحبوا من قدامه عندما اتهمهم،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ولما تحداهم لكي يبكتوه على خطية، وقف أمامهم بثبات وجرأة منقطعة النظر، ذلك لأنهم خطاة، وأما هو بلا خطية، وعاش عيشة الطاعة الكاملة لمشيئة أبيه كما قال: "لأني في كل حين أفعل ما يرضيه" (ع 29) ولم تكن كلماته للافتخار، لكنه تكلم طبيعياً...

كذلك بالنسبة لطبيعة تعاليمه، وضع يسوع نفسه في رتبة أدبية فريدة وهذا نفس ما فعله الفريسي في الهيكل، في شكره الذي يكاد يكون تجديفاً إذ قال: "اللهم أنا أشكرك إني لست مثل باقي الناس..." (لوقا 18: 11) أما يسوع فقد نسب لنفسه التفرد، دون ما افتخار ذاتي، لأنها كانت حقيقة واضحة لديه، بدرجة أنها لم تكن في حاجة إلى أي توكيد، أما البشر فإنهم خرافٌ ضالة، ويسوع هو الراعي الصالح الذي جاء لكي يطلبهم ويخلصهم... وإنهم مرضى بالخطية، ويسوع هو الطبيب الذي جاء ليشفيهم، وأنهم غارقون في ظلمة الجهل والخطية، ويسوع هو نور العالم. إنهم جميعاً خطاة، أما هو فقد وُلد لكي يكون مخلصاً لهم، وأن يسفك دمه على الصليب، ويموت لغفران الخطية. كلهم جياع، أما هو فإنه خبز الحياة... كلهم أموات في الذنوب والخطايا أما هو فإنه الحياة لهم الآن، والقيامة في المستقبل... نطق يسوع بهذه الحقائق الجوهرية، بكل اتضاع وبساطة، لا لكي يفرض تأثير عظمته عليهم، بل لينهض بالإيمان قلوبهم، فيستطيع أن يملأ كل احتياجهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وليس من الغريب، إذاً، أننا ونحن نسمع عن تجارب يسوع، لا نسمع شيئاً عن خطاياه، فلم يحدث أنه اعترف بخطاياه أو طلب غفراناً، مع أنه كثيراً ما أمر تلاميذه أن يفعلوا ذلك. إن يسوع لا يظهر أي تقصير أدبي، و لم يكن عنده إحساس بالإثم أو بالبعد عن الله الآب في أي وقت... ولو أن يوحنا عمدّه بما أسماه "معمودية التوبة" لكنه تردد كثيراً قبل عماد المسيح، وقبل المسيح ذلك لا اعترافاً منه بأنه خاطئ ولكن "لكي يكمّل كل بر" (متى 3: 15) ولكي يعرف خطايا العالم، وكانت له شركة دائمة نقية مع الله الآب...

إن نقاوة حياته، وعمق شركته مع أبيه، لجديران بالاعتبار لسببين:

1) أنه كانت ليسوع مَلَكة الحكم والتمييز كما تقول الرسالة إلى العبرانيين: "مميزاً أفكار القلب ونياته" (4: 12) و لم يكن محتاجاً أن يشهد أحد عن الإنسان لأنه علم ما كان في الإنسان، وقد سجلت عنه الأناجيل مراراً أنه كان يعلم ما في قلوب الناس وأفكارهم من تساؤل وارتياب (يوحنا 2: 25) وقد حفزّته معرفته الثاقبة، أن يوبخ رياء الفريسيين ويمقت ازدواج موقفهم، وقد صبَّ عليهم جام غضبه، في الويلات التي نطق بها بصوت كالرعد، كصوت أنبياء العهد القديم، كما سفّه الغرور والكبرياء، إلاّ أنّ هذه العين النقية الفاحصة، لم ترَ فيه شراً، كما أنه وبَّخ البر الذاتي، الذي ظهر في غيره، وهو الذي جاهر أنه بار...

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

2) ثمّة سبب آخر، جعل شعوره بالطهارة الشخصية عجيباً، هو أنه يختلف تمام الاختلاف عن اختبار غيره من القديسين والمتصوفين، فالمسيحي يعلم أنه كلما ازداد تقرباً من الله، كلما ازداد شعوره بالخطية ومرارتها. والقديس في مثل هذه الحالة يشبه رجل العلم العصري، كلما زادت اكتشافات العالم، كلما تاقت نفسه إلى اكتشافات وأسرار جديدة، أما القديس فكلما ازداد تشابهاً للمسيح، كلما أدرك مدى المسافة التي تفصل بينه وبين مثله العليا. ولو ألقى القارئ نظرة، على حياة أحد المسيحيين، لاقتنع في قرارة نفسه بصدق هذه الحقيقة، إذا لم يكتفِ باختباره الشخصي، وهاكم مثلاً لذلك عن داود برينارد، المرسل بين الهنود، في أوائل القرن التاسع عشر، وقد كشفت مذكراته اليومية ورسائله، عن عمق ولائه للمسيح، وبالرغم من آلامه المبرحة وضعفاته الجثمانية، التي كانت سبب موته، وهو في التاسعة والعشرين من عمره.. فإنه كرّس نفسه تماماً لعمله– وكان رغم ذلك يسافر على ظهر جواده، وسط الغابات الكثيفة، يعلّم ويكرز بدون هوادة، ينام في الخلاء، قانعاً بمثل هذا العيش، دون أن يفكر في بيت يأويه أو عائلة تضمه.. وقد فاضت يومياته بعبارات الحب والحنان نحو "أحبائه الهنود الأعزاء".. كما أنها غنية بالصلوات والتسابيح للفادي.. وبالطبع أنّ مثله يُعَدّ قديساً من الطراز الأول، لم تلوث الخطية، حياته وعمله كثيراً، ولكن بالنظر إلى يومياته، نراه مراراً وتكراراً، يندب فساده الأدبي، ويشكو من افتقاره إلى الصلاة والمحبة للمسيح، ويدعو نفسه "الدودة الحقيرة" –"الكلب الميت" –"الشقي البائس التعس".. ذلكم لأنه رأى نفسه على حقيقتها، في نور المسيح الذي عاش معه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

أجل! عاش المسيح أقرب، من أي إنسان آخر، إلى الله، ومع ذلك لم يكن لديه أي إحساس بالخطية..

2- ما قاله أحباء المسيح:

من الواضح أنّ المسيح اعتقد أنه بلا خطية، كما اعتقد أنه المسيا وابـــن الله، ولكن ألا يجوز أن يكون مخطئاً في اعتقاده الأول والثاني أيضاً؟ ماذا كان يقول تلاميذه عنه؟ هل كانوا يشاركونه رأيه من جهة نفسه؟

ربما يخطر على البال، أنّ تلاميذ المسيح كانوا شهوداً ضعفاء، واعترضوا عليهم بأهم جماعة مغرضون، صوّروا المسيح في صورة أجمل مما هو.. ولكن هذه الاعتراضات أساءت للتلاميذ لأن شهادهم ذات قيمة ثمينة، وإن أقوالهم في هذا الشأن، لا يمكــن إغفالها، وهناك كثير من الأسباب الوجيهة، التي لأجلها يجب أن نثــق بشـــهادهم، ونعتمد على أقوالهم.. وبين هذه الأسباب ما يأتي:

1) إهم عاشوا في ألفة مع يسوع نحو ثلاث سنوات: أكلـــوا ونـــاموا معـــاً، واختبروا السفر والانزعاج في قاربٍ صغيرٍ واحدٍ، وكان لهم صندوقٌ واحدٌ، ينفقون منه جميعاً (وكم كان الحساب المشترك في المصرف، سبب انقسام وخصام ونزاع بين الشركاء) وكم من مرةٍ أثاروا غيظ بعضهم البعض، ونشأت بينـــهم المشـــاجرات، ولكنهم لم يجدوا في المسيح أية خطية من خطاياهم، وكم تسبب الألفة وعدم التكليف من استخفافٍ وازدراء، بعكس ما حدث هنا، فإنّ بين الشهود الرئيسيين، علـــى أنّ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يسوع بلا خطية، اثنان هما بطرس ويوحنا، وهما من أصفياء المسيح، وثالثهم يعقوب، الذين منحهم امتيازات خاصة، وإعلانات حبيّة أكثر.

2) إنهم كانوا يهوداً، تشربت عقولهم بتعليم العهد القديم منذ نعومة أظفارهم، وبين هذه التعاليم عقيدةٌ لم يكن من السهل التخلص منها، إلاّ وهي عمومية الخطية بين البشر فيقول الكتاب: "كلنا كغنمٍ ضللنا" (أشعياء 53: 6) "ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (مزمور 14: 3)... وبسبب هذه العقيدة المتأصلة في عقولهم، لم يكن من السهل عليهم؛ أن ينسبوا عدم الخطية لكائنٍ من كان.

3) ثمة سبب ثالث يجعل شهادة الرسل أكثر تصديقاً هو أنها جاءت بطريق غير مباشر... فقد جاءت ملاحظاتهم وأقوالهم عفوية في كتاباتهم، فبينما كانوا يكتبون عن موضوع، إذ بهم يضيفون عبارات، تبدو كما لو كانت جملاً اعتراضية، تشير إلى عصمة المسيح عن الخطية، ولذلك لا يمكن أن توصف توكيداتهم بأنها مغرضة، في هذه الحالة على الأقل، أو أنها كانت بحسب ميولهم وأهوائهم.

وهاكم مثلاً لذلك، فغن بطرس وصف يسوع أولاً "كحمل بلا عيب ولا دنس" (1بطرس 1: 19) ومن ثم تابع قوله: "بأنه لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر" (1بطرس 2: 22) ويكتب يوحنا في أوائل رسالته الأولى "بأن جميع الناس خطاة وأنه إن قلنا ليس لنا خطية فأننا نكذب، وإن قلنا أننا لم نخطئ نجعله كاذباً"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(يوحنا 1: 8- 10) ومن ثم أضاف قائلاً: "وتعلمون أن ذاك أظهر لكـــي يرفـــع خطايانا وليس فيه خطية" (1يوحنا 3: 5)

ويضاف إلى شهادة بطرس ويوحنا، شهادة الرسول بولس وكاتب الرسالة إلى العبرانيين .... فيقول بولس عن يسوع "الذي لم يعرف خطية" (2كورنثـــوس 5: 21) كما أن الرسالة إلى العبرانيين تقول: "إنه... رئيس كهنتنا قدوس بلا شـــر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات" (عـــبرانيين 7: 26) وأنـــه "مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية" (عبرانيين 4: 15).

3- ما قاله أعداء المسيح:

عندما نتأمّل فيما يفكر به أعداء المسيح عنه، نرى أنفسنا في موقف أسلم، ولا يمكن أن يقف منه هؤلاء الأعداء، موقف التأييد والتعضيد، فقد ذكرت عنهم الأناجيل أنهم "صاروا... يراقبونه" (مرقس 3: 2) وحاولوا أن يصطادوه بكلمة (مرقس 12: 13) ومن المسلم به بأنه إذا تعذر، كسب المناقشة بالحجة والبرهان، نزل الخصوم إلى مستوى التهجم على صعيد شخصي، ومما يكسر القلب، إن آفة الحقد الشخصـــي، والغايات النفسانية، قد لوثت سجلات الكنيسة اليوم... تلك كانت حالـــة أعـــداء المسيح، الذين دحرهم بقوة منطقه، وصدق حجته، ولذلك لجأوا إلى وسائل أخـــرى لبث سمومهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وإنه لجدير بنا أن نتأمل في انتقاداهم بكل تدقيق وعناية، وقد سجل مرقس في إنجيله (2: 1- 3: 6) أربعة هجمات هي:

1) إن يسوع جدَّف عندما غفر خطايا إنسان مفلوج وظنوا هذا تعدياً وافتئاتاً على حقوق الله، وقالوا إن هذه تجاديف، ولكن قولهم هذا، يسير المشكلة الرئيسية ألا وهي، إن كان يسوع إلهاً حقاً، فإن غفران الخطايا من عمله واختصاصه.

2) اهموه ثانية بمعاشرة الأشرار من العشارين والخطاة، فقد أكـــل وشـــرب معهم، واتكأ مع الزناة والزواني، كما ادعوا، الأمر الذي لا يخطر إطلاقاً على بال أي فريسي، بل بالحري يسارع، لكي يبتعد عن مثل هذا القوم، معتبراً نفسه باراً بهـــذا العمل، كما أن الفريسي لم ينظر أبداً بعين الاعتبار أو التقدير، إلى نعمـــة يســـوع المتفاضلة وحنانه، إذ مع كونه "منفصلاً عن الخطاة" اكتسب لنفسه هذا اللقب "محب للعشارين والخطاة".

3) اهموه ثالثة بأنّ دينه كان سطحياً، فلا يصوم كالفريسيين وتلاميذ يوحنا المعمدان، لكنه كان إنساناً أكولاً وشرّيب خمر، جاء يأكل ويشرب (متى 11: 19) وإن مثل هذه التهمة لا تستحق الرد أو الاهتمام، ويزيدنا فخراً أن يمتلئ يسوع فرحاً، ولا مجال للشك في أنه كان مثال الدقة والعناية بشؤون دينه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

4) أما التهمة الرابعة فهي أنه كسر السبت فقد شفى المرضى في يوم السبت، ومشى بين الزروع مع تلاميذه في يوم سبت، وقطف التلاميذ سنابل وأكلوا، فاعتبره الفريسيون بمثابة عمل- حصاد ودرس- وهو ممنوع منعاً باتاً بحسب تقليدهم، ولن يرتاب من يدرس الكتاب بدقة وعناية، في أن يسوع كان مثال الاحترام الكلي لناموس الله، وكان طائعاً له... وعند احتدام المناقشة، كان يحتكم يسوع إلى الناموس... وقد أكد لهم أيضاً أن الله صنع السبت لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت، وهو "رب السبت" له الحق والسيادة، ويستطيع أن يفسر الشريعة الإلهية تفسيراً صحيحاً.

ونلاحظ أن هذه التهم إما تافهة، أو أن لا أساس لها من الصحة، حتى أنه في وقت المحاكمة، لم تكن هناك تهمة معينة ضد المسيح، يستحق عليها الموت، فاستأجر أعداءه شهود زور ضده، ولم تتفق شهادتهم... وزد على ذلك فإن الاتهام الذي دبروه ضده، لم يكن أدبيًّا بل سياسياً... ولمَّا وقف الجليلي "المتهم" ليسمع الحكم أمام الجموع الحاشدة، صدر الحكم ببراءته مرة بعد الأخرى، وقد حاول بيلاطس محاولات كثيرة، تدل على جبنه وحقارته، لكي يتخلص من إصدار الحكم، وفعلاً غسل يديه وصرَّح علانية، أنه "بريء من دم هذا البار" (متى 27: 24) ولعل هذه العبارة، جاءت نتيجة طبيعية، لتأثره من رسالة زوجته التي بعثت تقول له: "إياك وذاك البار" (متى 27: 19) ولمّا أرسله إلى هيرودس، لم يجد فيه أية علّة (لوقا 23: 15) وها هو يهوذا الخائن، الذي لم يقدر أن يقاوم توبيخ ضميره، فأرجع الثلاثين من الفضة إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

رؤساء الكهنة وقال: "... قد أخطأت إذ أسلمت دماً بريئاً" (متى 27: 3، 4) وقد شهد ليسوع أيضاً، اللص التائب وهو على الصليب وانتهر رفيقه المصلوب الثالث، لإهانته يسوع وقال: "وأمّا هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محلّه" (لوقا 23: 41) كما جاءت شهادة قائد المئة، مطابقة للحق، عندما شاهد المسيح يتألم ويموت، صرخ قائلاً: "بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً" (لوقا 23: 47).

4- تقديرنا الشخصي للمسيح:

لسنا في حاجة أن نعتمد على شهادة الآخرين، ولكن نستطيع أن نعتمد على ما نكوّنه لأنفسنا، فإنّ دعوى يسوع عن كماله الأدبي كما أعلنها بنفسه، وأيّدها تلاميذه، وأكدّها أعداؤه ساخرين مستهزئين، كل هذه سجلتها الأناجيل.

أمامنا فرصة كافية لنكوّن لأنفسنا رأياً، وقد رسم لنا البشيرون صورة شاملة واضحة ليسوع، تناولت بنوع خاص، خدمته العلنية الجهارية لمدة نحو ثلاث سنوات، إلاّ أنها لم تغفل أن تذكر لمحة عن طفولته، وقد ذكر لوقا مرتين، أنّ يسوع في أثناء وجوده في الناصرة، كان ينمو في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس، (لوقا 2: 40، 52) كما نراه يذهب إلى موضع خلاء مع تلاميذه، مرة أو مع الجموع الكثيرة التي كانت تزحمه، مرة أخرى– ونلاحظه في خدمته الأولى، في الجليل وكأنه معبود الشعب، الذين يسيرون وراءه ويهتفون بحياته، ويسعون لخطفه بالقوة، لكي يجعلوه ملكاً، يُرضي أهوائهم ورغباتهم... ولو سرنا وراءه إلى أورشليم، ودخلنا معه أروقة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الهيكل، لرأينا الفريسيين والصدوقين وهم يحاولون أن يصطادوه بكلمة... ولكن يسوع هو هو، لن تغيّره ظروف ولن تؤثر فيه نشوة النجاح الباهر، ولا انقلاب الزمان الغادر، وسيّان عنده، إن أحبّه الناس أم رفضوه، قبلوه أم طردوه...

وعسانا نرى هنا صورة المسيح، غاية في الاتزان، ليس فيه أي أثر للشذوذ، فهو يؤمن صادق الإيمان بما يعلّم به، دون ما تصعب أو انحياز، فإن كانت تعاليمه صعبة على الجمهور وغير مرغوب فيها، لكنّه لا يثور... وهناك من البراهين التي تثبت ناسوته بقدر ما يثبت لاهوته... فقد تعب ونام وأكل وشرب مثل باقي الناس، وجرّب ما في البشر من عواطف مثل الحب والغضب والفرح والحزن، فهو إنسان كامل بلا خطية.

وفوق الكل لم يكن يسوع محبّاً لذاته، أيوجد أعجب من هذا؟ هذا الذي يعرف ويؤمن أنه إله، لم يتكبر أو يتجبر، لم يفتخر أو يتباه مثل الذين يظنون أنهم شيء وهم ليسوا شيئاً، فإنّ الكبرياء لم تجد إلى نفسه سبيلاً، بل كان مثال التواضع والوداعة، وإن التناقض الذي يظهر في شخصه يحيّر، لا سيما وقد جمع في شخصه المتناقضين: التعليم الذي يدور حول النفس أو الذات، ثم سلوكه الذي يخلو من محبة النفس... لقد وضع نفسه أولاً بالقول، ووضعها آخراً بالعمل، وجمع في نفسه أعظم احترام وتقدير للنفس وأعظم إنكار للذات، عرف نفسه ربّاً على الجميع، لكنّه صار عبداً للجميع وقال: "لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مرقس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

10: 45) لقد تنازل عن امتيازات كثيرة: ترك أمجاد السماء، ونزل إلى أرض الشقاء والعناء، مضحياً بحصانته الأبدية، معرضاً نفسه لأشواك وشر هذا العالم... ولد من أمٍّ فقيرة في مذودٍ حقير في بيت لحم، وهرب إلى مصر، ثم جاء سراً إلى مدينة الناصرة، حيث عاش واشتغل نجاراً بسيطاً، لكي يعول أمّه، ولّما جاء الوقت المعيّن، جال يكرز في القرى والمدن. كان فقيراً، لا يملك من حطام الدنيا سوى النذر اليسير، ولم يكن له أين يسند رأسه.... كان الصيادون البسطاء والعشّارون والخطاة، أصدقاءه وأتباعه، واحتمل مشاجرة تلاميذه وتطاحنهم على الرئاسة، وغسل أرجلهم كعبد، ولمس البرص كما لمسه الزناة والزواني، وانصرف بكل قواه إلى خدمة الشفاء والتعليم والكرازة، بصورة متواصلة.. لقد أساء فهمه الناس، فأساءوا إليه وجعلوه ضحية تعصبّهم الأعمى، فقد احتقره الشعب ورفضوه، وهجره أتباعه ومحبوه، أدار ظهره للضاربين، وخدّه للناتفين، ووجهه للمستهزئين، وأحنى رأسه لكي يضعوا عليه إكليل الشوك، ومدَّ يديه ورجليه للمسامير، وسُمِّر على الصليب، كما تقضي قوانين الرومان... وحينما شعر بالآلام المبرحة من أثر المسامير وغيرها، صلّى من أجل أعدائه قائلاً: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لوقا 23: 34).

وهل لعقولنا القاصرة أن تدرك كنه هذا الإنسان؟ لقد نجح هو حيث فشلنا نحن، وكان يضبط نفسه ويملكها، لم ينتقم، ولم يحنق، ولم يثر أو يتهيج، مهما حسبه الناس أو قالوا عنه أو فعلوا به، أنكر نفسه، وسلمها إلى مشيئة الله وخير البشرية كما قال: "لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني" (يوحنا 5: 30، 8: 50)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وكما كتب بولس الرسول: "لأن المسيح لم يرضِ نفسه" (رومية 15: 3) والكتاب المقدس يطلق على عدم الاهتمام بالنفس وإنكارها، وعلى خدمة الله والناس، اسم المحبة، فالمحبة لا تطلب ما لنفسها، وجوهر المحبة التضحية وإنكار النفس– هذه المحبة التي تضفي على من يتزين بها نوراً، فكم بالحري تشع حياة يسوع في المحبة نوراً ساطعاً، لا يخبو ولا يتضاءل... وخلاصة القول: كان يسوع بلا خطية لأنه خلا من نفسه ومن محبة الذات– وعدم محبة الذات وبغض النفس هي المحبة عينها، والله محبة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الفصل الرابع

قيامة المسيح

درسنا فيما تقدّم الدعاوي السخية، التي نسبها يسوع إلى نفسه، ورأينا طبيعته المنزهة عن كل أنانية، وها نحن الآن بصدد فحص الدليل على قيامته التاريخية من بين الأموات.

يبدو واضحاً أن للقيامة أهمية عظمى، فلو استطعنا أن نثبت قيامة يسوع الناصري من الأموات، لما كان هناك أدنى شك أو خلاف في أن يسوع شخص فريد وعجيب، وليست المسألة مسألة بقائه حياً روحيّاً، ولا إعادته إلى الحياة جسدياً، بل غلبته على الموت، وقيامته إلى أفقٍ جديدٍ من الوجود. و لم يجز في مثل هذا الاختبار شخص آخر سواه، ولهذا يقف الإنسان العصري، في وقتنا الحاضر، موقف السخرية والاستهزاء، كما وقف الفلاسفة الأثينيون من بولس، وهو يتكلّم عن قيامة الأموات، في أريوس باغوس، الذي قال عنهم الكتاب: "ولما سمعوا بالقيامة من الأموات كان البعض يستهزئون" (أعمال 17: 32).

ربما لا نشعر أن قيامة يسوع، تثبت لاهوته، ولكن ينبغي أن نتفق بأنّها تشير إليه، ومن المناسب أن نفكّر أنَّ الشخص الفائق الطبيعة، يدخل هذا العالم ويخرج منه، بطريقة فائقة للطبيعة... وهذا ما ينسجم في الواقع، مع تعليم العهد الجديد، ومع ما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

تؤمن به الكنيسة، ولَئِن كانت ولادته طبيعياً، فإن الحبل به كان فائقاً للطبيعـــة، وإن كان موته طبيعية، فقيامته فائقة للطبيعة، وإن لم يثبت الحبل به معجزياً، وقيامته، إن لم يثبتا كلاهما لاهوته، لكنهما تتفقان وتنسجمان مع لاهوته، وليس المقصود هنـــا، أن نخوض البحث فيما نسميه "بالولادة من العذراء" إلا أن هناك من الأسباب ما يكفي لتصديقها والإيمان بها، حتى ولو لم يستخدمها العهد الجديد، لكي تبرهن على أنـــه المسيّا أو أنه ابن الله،كما هو الحال في مسألة القيامة من الأموات.. وما من مرة تنبأ يسوع عن آلامه وموته، إلا واقترن بها ذكر قيامته أيضاً- ووصف قيامته بأنها آية أو معجزة، ويكتب الرسول بولس في بداءة رسالته إلى أهل رومية عن المســـيح قـــائلاً: "وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات" (رومية 1: 4) كما تؤكد أقوال ومواعظ الرسل، المسجلة في سفر الأعمال، إن بالقيامة أبدل الله حكمه الأول، الذي يقضي بأن النفس التي تخطئ هي تموت، بحكم آخر، زكىّ فيه ابنه الذي بذله لأجلنا أجمعين.

وهاكم لوقا المؤرخ الدقيق، يسجل عن القيامة، بأنها مدعومة "ببراهين كثيرة" (أعمال1: 3) وربما لا نحتاج أن نصل إلى ما قاله متى ارنولد عن القيامة بأنها "أقوى حقيقة مدعومة في التاريخ" والحق يقال إن عدداً كبيراً من العلماء المنصفين، أيـــدوا صحة القيامة تأييداً تاماً، فقد كتب السر ادوارد كلارك إلى قسيس صديق له في هذا العدد، قائلاً: "بوصفي محام درست البراهين والبيّنات المختصة بموضوع قيامة المسيح، دراسة دقيقة مطولة، وأقرر أنها أمر حقيقي واقع، لا يأتيه الشك من الأمام أو الخلف،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وكم من مرة ربحت في المحكمة العليا أحكاماً، استناداً إلى بعض البيّنات والدلائل، التي لا توازي في قيمتها شيئاً إذا ما قُورِنَت بالأدلة المؤيدة للقيامة، والمألوف أن الاستنتاج يتبع عادة الدليل والبينة، ونلاحظ أن الشاهد الصادق الأمين، يتصف ببساطة القلب، وعدم الاكتراث بالنتائج، ولعل ما تتضمنه الأناجيل من أدلة وبراهين قاطعة عن القيامة، تجيء تحت هذا النوع، وبوصفي محام، فإنني أعلن قبولي للإنجيل بدون تحفظ، متخذاً إياها شهادة صادقة من رجال موثوق بهم، سجلوا حقائق مدموغة بالدليل القاطع".

فما هو هذا الدليل إذاً؟

وجواباً على ذلك، سنحاول أن نلّخصه في أربع حقائق:

أولاً: القبر الفارغ

تبدأ قصة القيامة في الأناجيل الأربعة، بزيارة بعض النساء للقبر باكراً جداً في صباح أحد القيامة، وكم كانت حيرتهن شديدة جداً لما لم يجدن جسد الرب في القبر، وهذا معناه طبعاً، أنّ القبر كان فارغاً، وما هي إلاّ أيام قلائل، حتى بدأ الرسل ينادون ويكرزون بأن يسوع قد قام، وهذا هو جوهر رسالتهم وكرازتهم، ولم يكن من المعقول، أنّ الرسل يجاهرون بهذا الأمر، وليس بينهم وبين القبر سوى دقائق.. لكن الحقيقة الواقعة هي أنّ القبر كان فارغاً.. ولا بدّ من تقديم تفسير لهذه الوقائع.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

1- نظرية تقول أنّ النساء ذهبن خطأ إلى قبرٍ آخر، وكان الظلام باقياً، وقد تملكهنّ الحزن، الأمر الذي يجعله من السهل عليهن أن يرتكبن خطأ، ولو بدا هذا القول مقبولاً ظاهرياً، إلا أنه يحتاج إلى فحصٍ وتدقيق، ولم يكن الظلام حالكاً بل كما قال يوحنا (**20**: **1**) "إن النساء أتين والظلام باقٍ" وقال متى: "عند الفجر" (**28**: **1**) وقال لوقا: "في أول الفجر" (**24**: **1**) أمّا مرقس فيقول بصراحة "أتين إذ طلعت الشمس" (**26**: **1**) وزد على ذلك، لم تكن النسوة غبيّات، وعلى الأقل عرفت اثنتان منهن، أين وضع يوسف ونيقوديموس الجسد (مرقس **15**: **47**، لوقا **23**: **55**) وراقبتا كل عملية الدفن لأنهما "كانتا جالستين تجاه القبر" (متى **27**: **61**) والاثنتان كلتاهما (مريم المجدلية ومريم أم يوسف) رجعتا عند الفجر، وجاءتا بسالومة معهما (مرقس **16**: **1**) وأيضاً يونّا "والباقيات" (لوقا **24**: **10**) ولو أنّ واحدة ضلّت الطريق أو أخطأت القبر، لاستطاعت الباقيات أن يصلحن خطأها أو يهدين ضلالتها.. ولو أخطأت مريم في المرة الأولى، وذهبت إلى مكان غير المكان المقصود، لما أخطأت مرة أخرى عند رجوعها في وضح الصباح، حيث بقيت في البستان، إلى أن التقت بيسوع، فضلاً عن ذلك، لم يكن الحزن العاطفي، الذي جاء بهنّ إلى القبر، وإنما أتين بمهمة أخرى "حاملات الحنوط الذي أعددنه" ليدهنّ جسد يسوع لأن حلول السبت، قبل ذلك بيومين، لم يترك لهنّ فرصة لإعداد الحنوط والأطياب اللازمة، وليس من السهولة بمكان، إن مثل هؤلاء النسوة، اللواتي أفرزن أنفسهن لهذا العمل، ليس من السهولة أن يخدعن، فضلاً عن ذلك، لو أن النسوة أخطأن القبر، فهل يمكن لبطرس ويوحنا اللذين ركضا ليتحققا الخبر، أو لغيرهما ممن لحقوا بهما، بما فيهم يوسف الذي من الرامة ونيقوديموس، هل يمكن أن جميعهم يرتكبون نفس الخطأ؟

2- الإغماء والغيبوبة: يذهب أصحاب هذه النظرية إلى القول، أن يسوع لم يمت فوق الصليب، لكن أغمي عليه، ثم فاق في القبر، وخرج منه فيما بعد، وأظهر نفسه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لتلاميذه– إلا أنه تحفَّ بهذه النظرية مشاكل عديدة، وهي في حد ذاتها، باطلة أصلاً وفصلاً، يناقضها الدليل كل التناقض.. لقد تعجب بيلاطس، أنّ يسوع مات كذا سريعاً، فدعا قائد المئة وسأله هل له زمان قد مات (مرقس **15**: **44**، **45**) ولما اقتنع بيلاطس بذلك، وهب الجسد ليوسف، ولعل قائد المئة استطاع، أن يعطي بيلاطس التأكيد الكافي، لأنه شاهد بأُمِّ عينيه، "واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء" (يوحنا **19**: **34**) فأخذ يوسف ونيقوديموس الجسد، وأنزله ولفه بكتان، ووضعه في قبر منحوت.. فهل يمكن أن نصدّق أنه كان طوال هذا الوقت في غيبوبة، وأنه بعد آلام ومرائر محاكمته والاستهزاء والصلب، استطاع أن يعيش مدة ست وثلاثين ساعة، في قبر منحوت في الصخر، لا تدفئة فيه ولا طعام ولا تضميد لجراحه الثخينة؟ أو أنه استطاع أن يستجمع قواه ويقوم بعمل فائق للطبيعة؟ فيرفع الحجر الكبير عن القبر، وأن ذلك تم في غفلة من الجند الروماني؟ وأنه وهو المتعب والضعيف والجائع، يقف أمام التلاميذ ويقنعهم بأنه قهر الموت؟ وأنه جاهر بموته وقيامته، وبأنه سيرسلهم إلى العالم أجمع، ووعدهم أن يكون معهم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر؟ وأنه سوف يمكث على الأرض، أربعين يوماً، ومن ثم يختفي، بينما لا نرى أحداً ظاهراً يطعمه أو يؤويه، كما أن أحداً لم يرهُ يموت أخيراً؟ فكيف نصدّق هذه التي هي أبعد تصديقاً مما شك فيه توما.

3- لصوص سرقوا الجسد: أشاع الأعداء، أن بعض اللصوص أتوا ليلاً وسرقوا جسد يسوع، وليس من دليل أو شبه دليل يؤيد هذا الزعم، فكيف نفسر مجيء اللصوص إلى القبر، وكيف دحرجوا الحجر الكبير، في غفلة من الحراس الرومان الساهرين؟ ولا يمكن أن يتصور عقل كيف يجرؤ اللصوص على سرقة الجسد وترك الأكفان في موضعها، أو ما الذي دفعهم إلى هذا العمل؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

4- التلاميذ سرقوا جسد يسوع: ويسجل لنا متى في إنجيله، أن اليهود ابتدعوا هذه الإشاعة، ونشروها حالاً بعد القيامة ويصف كيف أن بيلاطس، بعد أن أمر بإعطاء الجسد إلى يوسف الرامي، استقبل وفداً من رؤساء الكهنة والفريسيين الذين قالوا له: "يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل، قال وهو حي أني بعد ثلاثة أيام أقوم، فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث، لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه، ويقولوا للشعب أنه قام من الأموات فتكون الضلالة الأخيرة، أشر من الأولى" ثم عاد بيلاطس يقول مؤكداً: "عندكم حراس اذهبوا واضبطوه كما تعلمون، فمضوا وضبطوا القبر بالحراس، وختموا الحجر" (متى **37**: **62**- **66**) ومن ثم يستمر البشير متى، في وصف كيف أن الحجر الكبير، والختم الذي عليه، والحراس عجزوا عن أن يمنعوا القيامة، وكيف أن قوماً من الحراس، جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان، وكيف أنهم اجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا للعسكر فضة كثيرة قائلين: "قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام. وإذا سُمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين" ثم يختم متى هذه القصة، بقوله: "فأخذوا الفضة وفعلوا كما علّموهم. فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم" (متى **28**: **11**- **15**).

ولكن هذه القصة التي اختلقها اليهود، لا يقبلها عقل سليم، فهل من المعقول أن قوماً من خيرة الحرس، رومانياً كان أم يهودياً، ينام جميع عساكره، أثناء قيامهم بالعمل؟ وما دام قد ظلوا ساهرين، فكيف يتسنى لجماعة من النساء، العزّل من السلاح، والسليمات النوايا، أن يعبرن المحرس، ويدحرجن الحجر الكبير، ليحملن الجسد؟ ولو فرضنا جدلاً، أن التلاميذ تمكنوا من سرقة جسد الرب، لاصطدمنا بعامل نفسي يناقض هذا الافتراء، وبالرجوع إلى الجزء الأول من سفر الأعمال، نجد مواعظ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الرسل كلها، تدور حول نقطة واحدة هي القيامة، كما نرى في العبارة القائلة: "هذا أخذتموه.. وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه... يسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك" فهل يُعقل إذاً أنهم كانوا ينادون، بما لا يؤمنون به، ولو أنهم سرقوا جسد المسيح، لكانت كرازتهم بالقيامة، تعني المناداة بالكذب والباطل، و لم يبلغ الأمر حد الكرازة بالقيامة فحسب، بل احتمال الآلام والأهوال في سبيلها، فهل كانوا على استعداد للذهاب إلى السجون، والجلد بالسياط، والموت لأجل سرد قصة خيالية؟ ولا شيء أوضح في الأناجيل وسفر الأعمال، مثل وضوح إخلاص الرسل وولائهم لسيدهم ورسالتهم.. وإن كانوا مخدوعين، فلن يكونوا خادعين، والمراؤون والشهداء ليسوا من جبلة واحدة أو طبيعة واحدة.

5- إن السلطات الرومانية أو اليهودية أخفت جسد المسيح: ربما كان هذا أقلها معقولية، وأبعدها تصديقاً، ويذهب أصحاب هذا الرأي، إلى أن رغبتهم في وضع حراسة شديدة عليه، باعث قوي لإخفائه.. ولسنا في حاجة إلى القول، أن هذا الزعم منقوض، لا أساس له من الصحة، ولا يقوم دليل يؤيده.. على أن برهاناً واحداً يجعله من المستحيل، أن ندافع عن هذا الزعم، فالسبب الوحيد الذي حدا بالمسؤولين أن يأخذوا الجسد هو منع وقوع الخداع والاحتيال، فقد ترددت إشاعات كثيرة أن يسوع كان يقول إنه سوف يقوم من بين الأموات بعد ثلاثة أيام، ولذلك وضعوا الجسد تحت حراسة شديدة، وإن هي إلا بضعة أسابيع، حتى أخذ التلاميذ ينادون بكل مجاهرة بأن المسيح قد قام، وقد ذاع الخبر في سرعة هائلة، وهددت حركة الناصري الجديدة، بتقويض أركان الديانة اليهودية، وتعريض سلامة أورشليم وأمنها للخطر، وخاف اليهود أن يعتنق الناس المسيحية، وخاف الرومان من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ثورة انقلابية، ولم يكن أمام السلطات الرسمية إذ ذاك، إلا إظهار جسد يسوع، وإصدار بيان بما كان، ولكنهم بدلاً من أن يفعلوا ذلك، لزموا الصمت، ولجأوا إلى وسائل العنف والتعذيب، فألقوا القبض على الرسل، وهددوهم وجلدوهم وسجنوهم وافتروا عليهم وتآمروا ضدهم وقتلوهم، وما كانوا في حاجة إلى كل هذه إطلاقاً، لو وجدوا جسد المسيح، ومن البديهي أن الكنيسة قامت على أسس القيامة، فلو كانت القيامة باطلة، لتلاشت الكنيسة من الوجود، ولكنهم لم يقدروا، لأن الجسد لم يكن في قبضة يدهم، ولعل سكوت السلطات برهان قاطع على صدق القيامة، له من القوة والتأثير ما لشهادة الرسل!

هذه بعض النظريات والمزاعم التي ابتدعها البعض في محاولة فاشلة، لتوضح فراغ القبر واختفاء الجسد.. وليس فيها ما يقنع أو يشبع، وبسبب انعدام الأدلة الأخرى، كان لا بد من الارتكاز على البراهين الكتابية كما سجلها الوحي... فمن ناحية ليس من دليل يثبت صحة هذه الإدعاءات، ومن ناحية أخرى لنا في الأناجيل ما يؤيد صدق هذه الحقيقة فيما رواه البشيرون عن القيامة ألا وهو: أن جسد المسيح لم تنقله أيدٍ بشرية، بل أقامه الله.

ثانياً: الأكفان الموضوعة في القبر

ومما هو جدير بالذكر، أن الأناجيل التي قالت بأن جسد المسيح لم يكن في القبر، تؤكد أن الأكفان كانت موضوعة فيه، وقد نبّر يوحنا على هذه الحقيقة، لأنه رافق بطرس وأتيا كلاهما إلى القبر، وكان الاثنان يركضان معاً، ولعله فيما ذكر في (20: 1- 10) يشهد يوحنا شهادة عيان، فهو يصف ما رآه بنفسه، وهو هو الذي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يشير إلى نفسه بالقول: "التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه" (ع 2) وقد سبق بطرس وجاء أولاً إلى القبر، ولم يفعل شيئاً سوى أنه ألقى نظرة، وظل بانتظار رفيقه بطرس، فلما جاء سمعان بطرس دخل القبر "فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذي جاء أولاً إلى القبر ورأى فآمن" (ع 8). وهنا يبتدرنا السؤال: "ما الذي رآه وجعله يؤمن؟" وترينا القصة بوضوح، أنه لم يكن القبر الفارغ فحسب، أو عدم وجود جسد المسيح فيه، بل الأكفان الموضوعة في نظام وترتيب، كما لو أنها لم تلمس بيد.

كتب القس "هنري لاثام" الأستاذ في جامعة كمبردج سابقاً، كتب في كتابه المدعو: "السيد المقام" ما معناه:

"هيا بنا نعيد القصة كما سجلها يوحنا البشير في (19: 38- 42) يذكر يوحنا أن يوسف الذي من الرامة سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع، وأن نيقوديموس "جاء... وهو حامل مزيج مر وعود نحو مئة مناً" فأخذا جسد يسوع ولفّاه بأكفان مع الأطياب، كما لليهود عادة أن يكفّنوا" أي كما يلفون الجروح بضمادات، حول جسده، ثم رشوا الأطياب عليها، ولا ريب أن الرأس ملفوف وحده بلفاف أو منديل مستقل، كما كان لعازر (يوحنا 11: 44) وهكذا لف يوسف ونيقوديموس جسد المسيح لفاً محكماً- الجسد والرأس- تاركين الوجه والرقبة عريانتين، حسب العادات المألوفة إذ ذاك، ثم وضعا الجسد في قبر جديد، لم يوضع فيه أحد قط... ولنفرض أننا كنا عند القبر في وقت القيامة، ماذا كنا نرى؟ هل نرى يسوع وهو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يتململ أولاً، ثم يتثاءب، ثم يقوم ناهضاً؟ كلا... إننا لا نؤمن أن قيامته كانت بهذا المعنى، أي أنه عاد إلى الحياة ثانية، فلم يفق من غيبوبة. إنه مات حقاً، وقام ثانية من بين الأموات، قيامة حقيقية بكل معنى الكلمة، وليست عودة ثانية إلى الحياة، وإيماننا إنه جاز واختبر الموت، بطريقة معجزية عجيبة وقام من جديد.

ولو كنا هناك عند القيامة ماذا كنا نرى أيضاً؟

نشاهد كيف اختفى الجسد فجأة، وكأنه قد "تبخّر" إن صح القول، متحولاً إلى عنصر جديد عجيب، يختلف كل الاختلاف عن ذي قبل، قام وترك الأكفان موضوعة كما كانت، دون ما تغيير يُذكر، كما دخل والأبواب مغلقة... ولا يبعد أن تغييراً طفيفاً حدث، بسبب خروج الجسد، الذي كان يدعمها، وتحت ضغط وثقل الأطياب التي بلغت مئة مناً (نحو خمسين كيلوغراماً) كما أنه لا بد من حدوث ثغرة أو انخفاض بين أكفان الجسد، ولفافة الرأس حيث كان رأسه ورقبته، وفي منديل الرأس، بسبب نمط وطريقة اللف المتقاطعة المستعملة في تلك الأيام.

وإذا أنعمنا النظر في درس ما كتبه يوحنا في هذا الصدد، نلاحظ ثلاثة أشياء، يذكرها التلميذ الحبيب عن الأكفان:

1- "رأى الأكفان موضوعة": وقد تكررت كلمة "موضوعة" مرتين في العددين 5، 6، وفي اللغة الأصلية أي اليونانية تعني "رآها كما كانت موضوعة".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

2- المنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان بل ملفوفاً في موضع وحده، والكلمة المترجمة "ملفوفاً" تعني في لغتها الأصلية، مستديرة كما لو كان الرأس في داخلها... وليس من الصعب، أن نتخيل المنظر الذي رآه التلاميذ المتحيرون لما جاءوا إلى القبر، ودخلوا... لقد رأوا الحجر المرفوع، والأكفان الموضوعة، والمنديل الذي على الرأس لم يكن معها.. كما رأوا الهبوط القائم بين المنديل، وبين الأكفان على الجسد.. فلا غرابة إن كان قد "رأى وآمن" لأن نظرة واحدة إلى هذه الأكفان، تؤيد حقيقة القيامة وتدل على طبيعتها، فإن هذه الأكفان، لم تلمسها يد إنسان، ولم ترتبها قوى بشرية، بل كأنها فيلجة خرجت منها الفراشة بعد تطورها، وعسانا ندرك أن هذه دلائل شاهد عيان، قُصد منها أن تكون دليلاً واضحاً قاطعاً على القيامة، استناداً إلى الواقع- كما يسجل يوحنا- بأن مريم المجدلية (التي عادت ثانية إلى القبر بعد أن أخبرت بطرس ويوحنا) "انحنت إلى القبر ونظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين" (**20**: **11**، **12**) والمحتمل أنهما كانا جالسين على الحجر المرفوع، والأكفان بينهما، ويضيف متى ومرقس، أن أحد الملاكين قال للمرأتين: "ليس هو ههنا لأنه قام كما قال. هلما انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعاً فيه" (متى **28**: **6**، مرقس **16**: **6**) وعسانا نرى في إشارة الملاك إلى الموضع الذي كان يسوع مضطجعاً فيه، وفي وضع وكلمات الملاكين، ما يؤيد الحقيقة بأن الأكفان الموضوعة، وعدم وجود جسد المسيح، كانتا شهادتين قويتين لتأييد حقيقة القيامة.

ثالثاً: رؤية الرب

يعرف كل قارئ للأناجيل، بأنها تتضمن قصصاً غريبة وعجيبة، عن كيفية ظهور يسوع لتلاميذه بعد قيامته، فقد ظهر الرب عشرة مرات، لمن دعاهم بطرس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

"شهوداً سبق الله فانتخبهم" (أعمال 10: 41) فقد ظهر لمريم المجدلية (يوحنا 20: 11- 18، مرقس16: 9) وللنسوة الراجعات من القبر (متى 28: 9) ولبطرس (لوقا 24: 34، 1كورنثوس 15: 5) ولتلميذي عمواس (لوقا 24: 13- 35، مرقس 16: 12، 13) وللعشرة التلاميذ المجتمعين في العلية (لوقا 24: 36- 42، يوحنا 20: 19- 23) ثم للأحد عشر تلميذاً وتوما معهم (يوحنا 20: 24- 29، مرقس 16: 14) ولأكثر من خمسمائة أخ معاً، ربما عند سفح الجبل في الجليل (1كورنثوس 15: 6، متى 18: 16- 20) ثم ليعقوب (1كورنثوس 15: 7) ثم لبعض التلاميذ، بينهم بطرس وتوما ونثنائيل ويعقوب ويوحنا عند بحيرة الجليل (يوحنا 21: 1-23) ولكثيرين عند جبل الزيتون بالقرب من بيت عنيا وقت الصعود، (لوقا 24: 50-53، أعمال 1: 6- 12) كما أن الرسول بولس يضع نفسه في نهاية قائمة الذين رأوا الرب المقام (1كورنثوس 15: 8) مشيراً إلى اختباره الذي جاز فيه وهو في الطريق إلى دمشق، كما أن لوقا يذكر في بدء سفر الأعمال، أن يسوع أراهم أيضاً نفسه حيّاً ببراهين كثيرة.. بعدما تألم وهو يظهر لهم (أي للتلاميذ) أربعين يوماً (أعمال 1: 3) وربما كانت هناك بعض المرات التي ظهر فيها و لم تسجّل..

وليس في مقدورنا، أن نغضّ الطرف، عن هذه المجموعة الحيّة القوية الشاهدة للقيامة، ولا بدّ من إيضاح هذه النصوص، ونكتفي بتوضيح ثلاثة أمور: (1) هل هي اختلاق وابتداع؟ (2) أم أنها هذيان؟ (3) أم أنها حقيقة واقعية؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لا حاجة أن نضيع وقتاً أو جهداً في تفنيد الزعم الأول، لأنه يجب أن نستبعد كون قصة القيامة وظهور الرب المقام، أمراً مبتدعاً ومختلقاً، لأن اختلاقه أمر مستحيل، ومن بين الأسباب لذلك إن الأناجيل جديّة، ورزينة رصينة، لا تزويق فيها ولا تنميق، كما أنها رواية شهود عيان، كتبت بطريقة مؤثرة تصويرية، فإن رواية حادث السباق والركض إلى القبر، أو السير إلى قرية عمواس، أبعد من أن تكونا خيالاً أو اختلاقاً، ولو قدّر لنا أن نختلق قصصاً عن القيامة، ربما فعلنا أكثر مما جاءنا، لأنّ اختلاقنا يدفعنا إلى تجنب العقد المحيرة، والنقاط المربكة المزعجة، التي تدعو إلى التساؤل، لكننا قد أسقطنا– أو على الأقل خففنا– من سلوك التلاميذ وخوفهم، وكان من الجائز أن نكتب أناجيل تصويرية (مثل الأبوكريفا) نصف فيها سلطان ابن الله ومجده، الذي حطّم قيود الموت، وقام من القبر ظافراً منتصراً... لكنّ أحداً منا لم يرَ الحادث بعينه، كما لا يوجد لدينا وصف له، ولو استطعنا، لما رضينا أن تكون مريم المجدلية أول شاهد للقيامة، تفادياً للتهكم والسخرية من أمثال رينان على الأقل.

ولعل هناك اعتراضاً ضد زعم الاختراق، أعظم وأقوى مما حوته براءة الأناجيل، مما أشرنا إليه سابقاً، إلاّ وهو أن الرسل والمبشرين والكنيسة الأولى، اقتنعوا اقتناعاً كلياً بأن يسوع قد قام، وأن كل ما في العهد الجديد، ينّم عن جوٍ ملؤه التأكيد والنصرة.

وما دامت هذه الكتابات المدونة في الإنجيل ليست اختلاقاً، فهل يمكن أن يكون ظهوره هذياناً وسخرية؟ ذهب كثيرون بهذا المذهب، وجاهروا به بشدة، ولكن مثل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

هذا الهذيان أمر لا يكتم ولا يخفى ويعرّفه قاموس اللغة هكذا: "الهذيان هو الشعور الظاهري بشيء خارجي حينما لا يكون لهذا الشيء وجود حقيقي" وهو ظاهرة تبدو في المصابين بأمراض عصبية على الأقل، أو ممن أصيبوا فعلاً بخلل في العقل.. وكثيرون منّا عرفوا أناساً ممن رأوا أشياءً وسمعوا أصواتاً، وعاشوا عيشة- بعض الوقت أو كل الوقت- في عالم خيالي، خلقوه لأنفسهم، ولا يجوز أن يقال بأن التلاميذ كانوا من هذا النوع غير المتزن، وإن صدُق القول على مريم المجدلية، فلن يتطرق إلى بطرس المندفع أو توما الشكوك.

وأصبح من المعلوم أن الهذيان قد شقَّ طريقه، إلى عدد كبير من الناس العاديين الطبيعيين، وفي مثل هذه الحالات تظهر خاصيتان بارزتان: الأولى أنه يبلغ ذروته، نتيجة فترة من التفكير الإرادي الجامح. والثانية ملائمة ظروف الوقت والمكان والمزاج، وينبغي أن تكون هناك رغبة داخلية قوية تتمشى تماماً مع الوضع الخارجي.. وبالرجوع إلى ما كتبه الإنجيل بشأن القيامة، نلاحظ على كل حال أنّ كلا العاملين مفقود، وبدلاً من أن يكون هناك أي دليل للتفكير الإرادي، نرى العكس، فقد أنزل جسد المسيح من فوق الصليب، ولفّ في أكفان من الكتان، ووضع في قبر منحوت في الصخر وما بدأه يوسف الرامي ونيقوديموس من فرائض للدفن يوم الجمعة قبل حلول السبت، جاءت النساء لإكماله وإتمامه في صباح الأحد فقد مات يسوع ودفن، ولم يخطر على بالهن أن أي شيء غير ذلك سيحدث.. فسرعان ما رأين القبر فارغاً، حتى خرجن سريعاً وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن ولم يقلن لأحد شيئاً لأنهن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

كنّ خائفات" (مرقس 16: 8) ولمّا أخبرت مريم المجدلية ومن معها من النساء، الرسل بأن يسوع حي "لم يصدقوا" (مرقس 16: 11) بل أكثر من ذلك "تراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن" (لوقا 24: 11) وعندما جاء يسوع ووقف في وسطهم "جزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً" (لوقا 24: 37) وأن يسوع وبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم (مرقس 16: 14) أمّا توما فقد تردد في إيمانه وقال لهم: "إن لم أبصر في يديه أثر المسامير وأضع إصبعي في أثر المسامير، وأضع يدي في جنبه لا أومن" (يوحنا 20: 24، 25) وعندما التقى المسيح بالأحد عشر تلميذاً والآخرين فوق جبل في الجليل، يقول متى: "ولما رأوا سجدوا له ولكن بعضهم شكوا" (متى 28: 17) وفي هذه جميعها لا نرى تفكيراً إرادياً جامحاً، ولا تصديقاً بسيطاً ساذجاً، ولا ثقة عمياء، فما كان التلاميذ أغراراً أغبياء، بل بالأحرى كانوا حذرين يقظين متسائلين. قال المسيح لاثنين منهم في لوقا 24: 25: "أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان" لأنهما كانا كذلك، وقد انبلج فجر إيمانهم أخيراً، عن طريق عدم إيمانهم وارتيابهم فلن يمكن أن يرضيهم هذيان أو خبل، لأنهم بنوا إيمانهم الأقدس على حقائق ثابتة أكيدة، هي خلاصة اختباراتهم الشخصية.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، ولكن عرفوا أيضاً الظروف الخارجية المواتية، فلو أن المسيح في ظهوره، قد اقتصر على مكان واحد أو مكانين، من الأماكن المقدسة، التي اختصت بذكريات عن يسوع، ولو أن مزاجهم وحالتهم النفسية كانت تتوقع ظهوره، لأفسح لنا المجال للارتياب والظن.. ولو أن لدينا قصة ظهوره في العلية فقط،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لفُتِحَ أمامنا باب الشك والتساؤل، ولو أن تلاميذ الأحد عشر، اجتمعوا في نفس المكان، الذي قضى فيه يسوع معهم جانباً كبيراً من ساعاته الأخيرة على الأرض، وشعروا بالفراغ الكبير الذي تركه، وأطلقوا لعواطفهم العنان في التفكير والخيال، عن الأمور الماضية الساحرة، وتذكروا وعوده بمجيئه ثانية، وأخذوا يمنّون أنفسهم برجوعه إليهم، إلى أن تم لهم تحقيق انتظاراتهم بظهوره المفاجئ، لو حدثت هذه، فإننا نخشى أن يكونوا قد أُخذوا على غرة، بخدعة ساحرة قاسية... ولكن لم تكن هذه ظروفهم أو حالتهم. وفي الواقع، إن فحصاً دقيقاً للمرات العشر، التي ظهر فيها، تكشف لنا القناع عن تنوّع فريد من حيث ظروف الأشخاص والأماكن، والمزاج التي فيها حدثت.. وبذا نرى ثلاث مقابلات فردية (مريم المجدلية، وبطرس ويعقوب) ومقابلة مع التلميذين في الطريق إلى عمواس.. ثم ظهر لعشرة على الأقل، في أول أحد للقيامة، ثم للأحد عشر أو أكثر في الأحد التالي، بينما يذكر بولس الرسول، بأنه ظهر دفعة واحدة، لأكثر من خمس مئة أخ (ربما في الجليل). وأما بشان الأماكن، بخلاف ما ظهر في واحد أو اثنين مقدسين منها، فقد كانت هناك أماكن بقدر ما رأى من أناس، بينها البستان الذي به القبر، وفي مكان ما بين البستان والمدينة، وفي العلية، وفي الطريق إلى عمواس، وفي الجبل في الجليل، وشاطئ بحيرة الجليل، وجبل الزيتون بالقرب من بيت عنيا...

وبما أن هناك تنوّعاً في الأشخاص والمكان، فلا بد من تنوّع أيضاً في الظروف والأحوال... فقد كانت مريم المجدلية تبكي، وكانت النساء خائفات متحيرات،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وبطرس يعذبه ضميره، وتوما ينساب في شكوكه وارتيابه، وتلميذا عمواس، تشغلهما حوادث الأسبوع والتلاميذ انهمكوا بالصيد في الجليل، إلا أنهم في غمرة شكوكهم ومخاوفهم، وفي عدم إيمانهم وانشغال بالهم، وقف الرب المقام، بهم وعرّفهم نفسه، واقتحم الحواجز الضخمة لعدم إيمانهم.. فلا يجسرنّ إنسان على أن يغضّ الطرف عن هذه الإعلانات عن الرب الإله المقام، وأن يدّعي إنها هذيان أو خبل في عقل بشري..

رابعاً: تغير التلاميذ

لعل ما طرأ على التلاميذ من تغيّر ملحوظ، أعظم الأدلة القاطعة، لإثبات قيامة يسوع، لأنه خال من كل تزويق أو تنميق فلم يحاولوا في دعوتهم، أن يجذبوا الأنظار إليهم، بقدر ما رغبوا في أن يوجهوا النظر إلى القبر الفارغ، والأكفان الموضوعة، والرب الذي رأوه... وفي استطاعتنا أن نرى التغيير الذي طرأ عليهم واضحاً، دون أن يطلبوا منا ملاحظة ذلك، فالرجال الذين يحتلون المكانة في سفر الأعمال، هم رجال جدد يختلفون عنهم في الأناجيل، حيث ترك في نفوسهم موت المسيح، اليأس والقنوط فأصبحوا على قاب قوسين أو أدنى من الفشل والاستسلام لليأس، بينما نراهم في سفر الأعمال جماعة نذروا نفوسهم، وبذلوها رخيصةً لأجل اسم الرب يسوع المسيح، وقد فتنوا المسكونة وقلبوها رأساً على عقب (أعمال 15: 26، 17: 6) فما السبب في هذا التطور؟ ما هو السرّ الذي دفعهم إلى إيمانهم ومحبتهم، وقوتهم، وفرحهم الجديد؟ بدون ريب إن ليوم الخمسين وحلول الروح القدس، تأثيراً ولو جزئياً.. ولكن الروح القدس حلّ فقط، عندما قام المسيح وصعد، وكأنما أطلقت القيامة سراح القوى الأدبية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

والروحية، وهنا يبرز مثالان: أولهما سمعان بطرس، ونراه وقد انزوى من قصة آلام المسيح، وأنكر سيده ثلاث مرات، وقال بقسم وهو يلعن أنه لم يعرف حلاوة تأثير يسوع في حياته، وخرج في ظلمة الليل البهيم وبكى بكاء مراً وحينما مات يسوع، انضم بطرس إلى رفاقه في العلية، خلف الأبواب المغلقة "بسبب الخوف من اليهود" (يوحنا 20: 19) وكان مكتئباً جداً... ولكن إذ نقلب صفحة أو صفحتين في الكتاب المقدس، نراه واقفاً- ربما على الدرج الحجري للعلية نفسها، حيث كان يختفي في أورشليم- نراه واقفاً يجاهر بكل قوة وجسارة، أمام جمهور عظيم جداً، بدرجة أن ثلاثة آلاف نفساً قبلت المسيح وتعمدت... وإذ ننتقل إلى الإصحاحات التالية من سفر الأعمال، نراه يتحدى أعضاء السنهدريم الذين حكموا على يسوع بالموت- يتحداهم فرحاً مسروراً لأنه حُسب مستأهلاً أن يُهان من أجل اسمه، كما نراه- فيما بعد- في سجنه نائماً، في الليلة السابقة لإعدامه وقتله.. (أعمال 2: 14- 41، 4: 1- 22، 5: 41، 12: 1- 6) فقد أضحى سمعان بطرس إنساناً جديداً، وقد ذهبت الرمال المتزعزعة الخاوية، وظهر كالصخر الحقيقي، وفقاً لتسميته، فما هو السر في هذا التطور العجيب؟!

والمثال الثاني هو يعقوب، الذي أسند إليه مركز القيادة في أورشليم فيما بعد، إنه أحد "أخوة الرب" الذين تذكرهم الأناجيل بأنهم "لم يكونوا يؤمنون به" (يوحنا 7: 5) وما أن نصل إلى الإصحاح الأول من سفر أعمال الرسل، ونقرأ أسماء المجتمعين الذين سجلهم لوقا، حتى نجد "أخوته" بينهم (ع 14) ومن الواضح أن يعقوب الآن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

أصبح في عداد المؤمنين... فما هو السر في هذا التطور العجيب؟! وما الذي أقنعه؟ ربما نكتشف السر فيما كتبه بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (15: 7) وهو يعدّد أسماء الذين رأوا المسيح المقام، واضعاً بينهم يعقوب في قوله: "وبعد ذلك ظهر ليعقوب".

إنها القيامة التي حولت جبن بطرس إلى شجاعة وجرأة، وحولت شكوك يعقوب إلى إيمان... إنها القيامة هي التي أبدلت السبت بالأحد والبقية اليهودية المختارة، إلى الكنيسة المسيحية، إنها القيامة التي غيرت شاول الطرسوسي، من فريسي ناموسي إلى رسول للأمم وحولت اضطهاده المرير للمسيحيين، إلى كرازة باسم المسيح.

هذه هي دلائل القيامة!

وبما أن القبر ظل فارغاً، والأكفان بقيت فيه موضوعة، والرب قد ظهر ورأوه، والتلاميذ تغيروا وتطوروا... فلا يبقى من دليل آخر سوى تأكيد الحقيقة المسيحية العظيمة! "الرب حقاً قام".

تناولنا في الفصول الثلاثة السابقة، بعين الفحص والاستقصاء الناقدة، أعظم شخصية جذابة عرفها التاريخ... ألا وهي شخصية النجار المتواضع الذي من ناصرة الجليل، الذي أصبح كارزاً للبسطاء والقرويين، ومات موت الأثمة المجرمين.... كانت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

دعاويه فائقة للطبيعة وسامية جداً، وبدا متحلياً بكل كمال أدبي، قـــام مـــن بـــين الأموات، وهل هناك من دليل جامع مانع أعظم من هذا؟ ولكن يعوزه خطوة صغيرة قصيرة، هي الإيمان الذي يأتي بنا، لنسجد على ركبنا أمامه، ونضع في شفاهنا، ذلك الاعتراف الجبار، الذي نطق به قبلنا توما الشكوك فقال: "ربي وإلهي" وكل من ينكر أن "يسوع المسيح جاء في الجسد فليس من الله، بل صار ضد المسيح" (1 يوحنا 2: 22، 4: 2، 3، 2 يوحنا 7) فإذا آمنتم بها أو بالحري آمنتم به، تكون لكم حيـــاة أبدية باسمه (يوحنا 20: 21).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ثانياً: حاجة الإنسان

الفصل الخامس

حقيقة الخطية وطبيعتها

أفردنا جانباً كبيراً من هذا الكتاب لتمحيص البراهين على لاهوت يسوع المسيح، حتى أننا اقتنعنا بأنه الرب، ابن الله الوحيد ولكننا نجد أن العهد الجديد لا يقتصر على وصف شخصه فحسب بل يصف عمله أيضاً، ولم يقف كتّاب العهد الجديد عند حد معرفة من هو، ولكنهم تناولوا ماذا عمل ويقدمونه لنا ليس بوصفه الرب الذي جاء من السماء فقط، ولكن بوصفه المخلص الذي مات على الصليب، وليس هذا معناه أن نفصل الأمرين عن بعضهما البعض، فهما مرتبطان تمام الارتباط، والواقع أن دوام صلاحية عمله يتوقف على لاهوت شخصه المبارك.

ولكي نقدّر قيمة العمل الذي أكمله، حق قدره، ينبغي أن نتفهم حقيقة أنفسنا "من نحن" كما نتفهم حقيقة شخصه "من هو" وأن عمله قد تم لأجلنا لأنه عمل شخصي لأشخاص، وما هو إلاّ العمل الذي أدّاه الشخص الوحيد- القادر أن يسد الحاجة- لأشخاص محتاجين، وقدرته هذه، مبنية على لاهوته، كما أن حاجتنا مبنية على خطيتنا، أما وقد اختبرنا وامتحنا قدرته، فيجب أن نعرض حاجتنا قدامه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وجدير بنا في هذا البحث، أن نتحول عن المسيح إلى الإنسان أي نتحول من العصمة عن الخطية والمجد الذي فيه، إلى الخطية والعار الذي فينا. ولن نستطيع أن ندرك كنه ما عمله لأجلنا وما قدمه لنا، ما لم نفهم حقيقة أنفسنا فهماً تاماً، أي أنه يجب تشخيص المرض جيداً، قبل أن نظهر استعدادنا لتناول الدواء اللازم.

الخطية موضوع غير مرغوب فيه، ولعل المسيحيين يقاسون مرَّ الانتقاد بسبب كثرة تكراره، ولكنهم إنما يفعلون هذا، لأنهم أناس واقعيون، فما كانت الخطية- ولن تكون- اختراع رعاة أو قسيسين، حرصاً على وظائفهم، لكنها حقيقة واقعة عامة، يوضَّحها كاتبو الكتب المقدسة، فهاكم سليمان، في أثناء صلاته العظيمة، وهو يدشّن الهيكل يقول: "ليس إنسان لا يخطئ" (1 ملوك 8: 46) ثم يعود الجامعة فيقول: "لأنه لا إنسان صدّيق في الأرض يعمل صلاحاً، ولا يخطئ (جامعة 7: 20) كما أن عدداً لا يستهان به من المزامير، أشبه بالمراثي، على انتشار الخطية وعموميتها بين البشر، فالمزمور الرابع عشر الذي يصف "الجاهل الذي لا إله له" يرسم صورة بشعة مخيفة لشرّ البشرية، ملؤها التشاؤم فيقول: "فسدوا ورجسوا بأفعالهم، ليس من يعمل صلاحاً. الرّب من السماء أشرف على بني آدم لينظر هل من فاهم طالب الله. الكلّ قد زاغوا معاً فسدوا، ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد" (مزمور 14: 1-3) وكأنّ ضمير المرّنم يحدثه أنه إذا قام الله لمحاكمة الإنسان ودينونته، فلن ينجو إنسان من قضائه "إن كنت تراقب الآثام يا رب يا سيد فمن يقف؟" (مزمور 130: 3) ولهذا يصلي قائلاً: "لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر قدّامك حيّ" (مزمور

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

143: 2) ولم يكن الأنبياء أقل إصراراً أو حماساً، من المرّنم أو غيره من كاتبي سفر المزامير، بالنسبة إلى أن جميع البشر خطاة، ولم تكن عبارات أكثر وضوحاً ودقة، من العبارتين الواردتين في النصف الأخير من سفر أشعياء: "كلّنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه" (أشعياء 53: 6) "وقد صرنا كلّنا كنجس وكثوب عدّة كل أعمال برنا" (أشعياء 64: 6).

وما كان هذا وهماً في مخيلة كتبة العهد القديم، ولكن ها هو بولس الرسول يفتتح رسالته إلى أهل رومية- في الثلاثة إصحاحات الأولى تقريباً- بمحاجته المكشوفة الصريحة، وفحواها أن جميع البشر- يهوداً كانوا أم أمميين- خطاة في نظر الله، ثم يصف في عبارات حيّة قوية، الانحطاط الخلقي الذي ساد العالم الوثني، ويضيف إلى قوله، أن اليهودي ليس أفضل، لأنه وهو الذي يملك شريعة الله المقدسة أي الناموس، ويعلمها لغيره، فإنه مجرم في كسرها والتعدي عليها، ومن ثم يقتبس الرسول من المزامير ومن النبي أشعياء ما يوضح به رأيه، ويفسر موضوعه، ملخصاً قوله بهذا "لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رومية 3: 22، 23) وعسى الرسول يوحنا، كان أوضح ما يمكن في تصريحه: "إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضلّ أنفسنا وليس الحق فينا" ثم "إن قلنا إننا لن نخطئ نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا" (1 يوحنا1: 8، 10).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

إن انتشار الخطية وعموميتها ليست حقيقة، تعرف بالوحي والإعلان فحسب، لكنها حقيقة تنبع من واقع اختبارنا اليومي نشاهدها ونحن نقرأ التاريخ أم نتصفح الصحف، ونراها لو سافرنا خارج البلاد أو بقينا في وسط رفاقنا ومواطنينا، نراها في بيوتنا وفي حياتنا، ولعل كل قوانين التشريع العامة والخاصة، نشأت لأن الجنس البشري لا يوثق به، ولا يعتمد عليه في حل مشاكلهم ومنازعاتهم بأمانة وإخلاص دون مراعاة المصلحة الشخصية، ولولا خطية البشر، لما حدث شيء من الأمور الكثيرة التي تحدث في المجتمع الراقي، فلماذا لا يكفي أن نقطع عهداً شفوياً، ولكن يلزمنا عقد اتفاق خطي؟ ولماذا لا نكتفي بالأبواب، بل يجب أن نغلقها ونوصدها بالمزاليج؟ ولماذا لا يفي دفع الأجور بالغرض المطلوب دون أن نحصل على بطاقات، توضع عليها العلامات، وتفتش وتجمع؟ ومع وجود القانون والنظام، لماذا نحتاج إلى شرطة لتنفيذها؟ إن كل هذه الأمور وكثيراً غيرها، مما ألفناه وقبلناه حجة مسلمّة، تعزى إلى الخطية، فلا يمكننا أن نثق ببعضنا البعض، ولكنا في حاجة إلى حماية، الواحد ضد الآخر.. يالها من حالة مشينة محزنة!

ولكن ما هي الخطية؟

إن انتشارها اليوم واضح صريح، فما هي طبيعتها إذاً؟ جاء في الكتاب المقدس، عدة كلمات تصف الخطية، ويمكن تلخيصها في مجموعتين: بالنسبة للنظر إلى الخطأ، سلباً أو إيجاباً.. فمن الناحية السلبية، الخطية هي التقصير، وهاك كلمة تعني هفوة أو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

زلة أو غلطة، بينما أخرى تعني الفشل في إصابة الهدف كما هو الحال في رمي سهم نحو هدف معين، وأخرى تعني رداءة في الداخل، أو وضع لا يحقق ما هو صالح.. أما من الوجه الإيجابي، فالخطية هي التعدي وإن كلمة من الكلمات تعني أنها خروج عن الحدود، وأخرى تعني التمرد ومخالفة القانون، وغيرها تعني العمل المخالف للحق والعدالة وكلا هاتين المجموعتين، تتضمنان وجود مقياس أدبي، وهو إما أن يكون مثلاً أعلى نعجز عن الوصول إليه أو شريعة نكسرها "ومن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له" (يعقوب 4: 17) هذا هو الوجه السلبي، أما الوجه الإيجابي فهو: "كل من يفعل الخطية يفعل التعدي أيضاً، الخطية هي التعدي" (1 يوحنا 3: 4).

ويوافق الكتاب المقدس على الحقيقة القائلة بأن للبشر مقاييس مختلفة باختلاف أجناسهم، فاليهودي يدين بناموس موسى، والأممي يعتبر ناموس الضمير... ولكن البشر جميعاً فشلوا في تحقيق شرائعهم... وهكذا هو الحال معنا، فما هو دستور حياتنا الأدبي إذاً؟ قد يكون ناموس موسى أو شريعة يسوع، أو قد يكون قانون بوذا الثماني، أو أركان الإسلام الخمسة، ومهما يكن هذا الدستور، فقد أخفقنا في تحقيقه، ووقفنا موقف المُدان، ولعل الذين يعيشون عيشة حسنة يرون غرابة في ذلك، لأن لهم مُثلاً عليا ويظنون أنهم سوف يدركونها، دون أن ينهمكوا في فحص دواخلهم، أو أن يهتموا في نقد أنفسهم، وهم يعلمون بهفواتهم وتقصيراتهم، ويشعرون بما فيهم من عيوب أخلاقية ونقائص مسلكية... دون أن تفزعهم، ويحسبون أنفسهم بأنهم ليسوا أردأ من غيرهم، ويلوح أن جميع هذه الأمور مفهومة ومعروفة، إلى أن نتذكر أمرين:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

(1) إن الإحساس بالفشل يتوقف على سمو مقاييسنا ... فمن السهل أن يعد الإنسان نفسه، بطلاً من أبطال القفز العالي، إذا لم يرتفع قضيب القفز عن ثلاث إلى ست بوصات.

(2) إن الله يهتم بالنية الكامنة وراء العمل، كما يهتم بالدافع الذي يكمن وراء التصرف والسلوك، الأمر الذي أوضحه يسوع في موعظته على الجبل، مما يدعونا أن نعيره كل انتباه واهتمام... ومن اللائق أن نتخذ الوصايا العشر ناموساً لنا ودستوراً لحياتنا، في ضوء هذين المبدأين، لنعرف كم يعجز الإنسان في تحقيق هذه الوصايا.

الوصايا العشر

(خروج 20: 1- 17)

الوصية الأولى: "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"

هذا ما يطلبه الله من الإنسان الذي يجب أن يعبده وحده دون سواه، وليس من الضروري أن يعبد الشمس أو القمر أو النجوم حتى يقال عنه أنه كسر هذه الوصية، ولكنا نكسرها عادة إذا ما أعطينا لشيء ما أو إنسان ما، المقام الأول في تفكيرنا ومحبتنا، وقد يكون هذا الشيء لعبة محبوبة، أو هواية مرغوبة.... أو فرداً نعبده ونعتز به، أو مطمحاً نفسانياً يشغل كل بالنا، ويستنزف كل قوانا.. وقد نعبد إلهاً من الفضة أو الذهب في صورة ودائع في المصارف، أو ربما نعبد إلهاً من الخشب أو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الحجارة في صورة عقارات وممتلكات، وتدفعنا رغبتنا الملحّة إلى اقتناء بيت أجمل، أو سيارة أفضل، أو مذياع أحدث.. ولا أريد أن أقلل من قيمة هذه الأشياء، ولكـن الخطر فيها هو أن نعطيها في حياتنا، المكان الذي لله وحده دون سواه... والخطية في حد ذاتها، هي إعلاء النفس على حساب الله، ويبدو أن ما كتبه أحدهم عن الرجـل الانكليزي ينطبق على كل إنسان آخر، وأعني به "أنه هو الرجل الذي يصنع نفسـه ويعبد نفسه".. فإذا أردنا أن نحفظ هذه الوصية الأولى، وجب علينا- كمـا قـال يسوع- "أن نحب الرب إلهنا من كل قلوبنا ومن كل أنفسنا ومن كل أفكارنا" (متى 22: 37) أي أن نرى جميع الأشياء كما يراها الله، وألا نفعل شيئاً بدون الرجوع إليه، وأن نتخذ إرادته ومشيئته قائداً ودليلاً لنا، ونجعل مجده هدفنا وغايتنا وأن نضعه أولاً في الفكر والقول والفعل، في أوقات الراحـة وأوقـات العمـل، في علاقاتنـا الاجتماعية وفي أشغالنا، وفي استخدام أموالنا وأوقاتنا ومواهبنا... وما مـن إنسـان استطاع أن يحفظ هذه الوصية إلا يسوع الناصري.

الوصية الثانية: "لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً"

لئن كانت الوصية الأولى ترمي إلى هدف عبادتنا وغايتها، فإن الوصية الثانية تشير إلى كيفيتها وحالتها.. وإن الوصية الأولى تعلن وحدانية الله، أما الثانية فـتعلن روحانيته. في الأولى يطلب الله أن نعبده وحده دون سواه، وفي الثانية يطلب عبـادة روحية ملؤها الإخلاص والولاء "لأن الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحـق ينبغي أن يسجدوا" (يوحنا 4: 24) ومع أننا لم نصنع لأنفسنا تماثيل معدنية قبيحة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المنظر، ولكن كم من صور وتماثيل عقلية خبيثة احتفظنا بها في قلوبنا؟ وأكثر من ذلك، مع أن هذه الوصية لا تحرم استعمال كل الطقوس والنظم الخارجية في العبادة، لكنها تبين ضمنياً أن أمثال هذه عديمة النفع والفائدة، ما لم تعبّر عن حقيقة داخلية واقعية... وربما نكون قد حضرنا اجتماعات الكنيسة، فهل عبدنا الله بحق؟ وقد نتلو صلوات، ولكن هل صلّينا بحق؟ وربما درسنا الكتاب المقدس، ولكن هل سمحنا لله أن يتكلم إلينا في كتابه، وهل عملنا ما قاله لنا؟ ولا ينفعنا شيئاً أن نكرم الله بشفاهنا، إذا كانت قلوبنا مبتعدة عنه (أشعياء 29: 13، مرقس 7: 6) فإن هذه هي خطية اليهودي المرتد، وخطية الفريسي وخطية عابد الأوثان، وأعني بها تعظيم الأهداف الخارجية الدينية والأعمال الظاهرية حيث لا يوجد إخلاص داخلي.. هذا هو الخداع بعينه.

الوصية الثالثة: "لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً"

يرمز اسم الله إلى طبيعة الله، وفي الكتاب المقدس نجد الكثير مما يأمرنا باحترام اسم الله، ونصلي عادةً في الصلاة الربانية قائلين: "ليتقدس اسمك" وقد يتدنس اسمه المقدس بالكلمات التي نتفوه بها، وما أحوجنا إلى تنقيح كلماتنا بين حين وآخر، ولكن المقصود بالنطق باسم الرب إلهنا باطلاً، لا يعني مجرد النطق بالكلمات فقط، ولكن بالأفكار والأفعال أيضاً.. وحينما لا ينسجم سلوكنا مع عقيدتنا، أو تناقض حياتنا، كرازتنا.. فإننا بذلك ننطق باسم الرب إلهنا باطلاً وإن دعونا الله "رباً" وعصيناه فنحن ننطق باسم الرب الإله باطلاً وإن دعونا الله "أباً" وتركنا أنفسنا للهموم والقلق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

والارتياب، فإننا بهذا ننكر اسمه، ولعل هذا يقودنا إلى الفكرة القائلة بأن النطق باسم الرب الإله باطلاً، معناه أن تقول شيئاً، ثم تعمل شيئاً آخر. هذا هو الرياء.

الوصية الرابعة: "اذكر يوم السبت لتقدسه"

إن يوم السبت أو يوم الراحة في العهد القديم، ويوم الأحد في العهد الجديد، لهو ترتيبٌ إلهي فإن إفراز يوم واحد من الأيام السبعة، ليس تدبيراً بشرياً، ولا ترتيباً اجتماعياً، لكنه تدبيرٌ إلهي... فإن الله جعل السبت لأجل الإنسان (مرقس 2: 27) وحيث أنه خلق الإنسان، الذي من أجله جعل السبت، فقد جعله مناسباً لسد حاجة الإنسان، فإن عقل الإنسان وجسده في حاجة إلى الراحة، كما أن روحه في حاجة إلى فرصةٍ للعبادة.. فيوم السبت إذاً هو يوم الراحة ويوم العبادة، ويقولون هم الذين يعتبرونه بهذا المعنى وإننا كثيراً ما لا نكتفي بتشغيل أنفسنا فقط ولكننا ننهمك في مثل هذه الأعمال، حتى أننا نشغل غيرنا فيما يمكن الاستغناء عنه، ونحرمهم كما نحرم أنفسنا من الفرصة التي نحتاج إليها لعبادة الله.. وتتطلب منا هذه الوصية أن نعمل ستة أيام ونستريح في اليوم السابع، ومن الواجب علينا أن نؤمن للآخرين الذين نحن مسؤولين عنهم (أي عائلاتنا وخدمنا ومستخدمينا) نؤمن لهم الراحة لكي يعبدوا فقط، ويوم الأحد يوم "مقدس مفرز لله، إنه يوم الرب لا يومنا ويجب أن نصرفه في طريقه وليس في طريقنا، وفي عبادته وخدمته لا في ملذاتنا الشخصية.

الوصية الخامسة: "أكرم أباك وأمك"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

تضع هذه الوصية نصب أعيننا واجبنا نحو والدينا، ولو جاءت على اللوح الأول من لوحي الشريعة الذي يبيّن واجباتنا نحو الله لأننا ونحن بعد أطفال صغار– على الأقل– يقف والدينا ويقطعون على أنفسهم العهود بتحمل المسؤولية عنا أمام الله وهم يمثلون سلطان الله، ومع ذلك لا يظهر الولد الصغير محبته لذاته وأنانيته أكثر مما يظهر في بيته حيث لا تراه عين العالم الخارجي أو الغرباء ولذلك يظهر على حقيقته ولعل بولس في إحدى رسائله (2 تيموثاوس 3: 2) يضع "غير الطائعين لوالديهم" بين أوصاف الذين يظهرون في الأيام الأخيرة، وفي هذه الدائرة بنوع خاص، تنكشف أنانيتنا ومحبتنا لذواتنا، حتى بعد بلوغنا سن الرشد، ومن السهل أن يكون الإنسان جحوداً وناكراً لجميل والديه، وأن يخفق في تقديم الاحترام والحب اللذين يستحقانه.. وعندما نكون بعيدين كم نكتب للوالدين وكم نزورهم؟ وهل هم في حاجة إلى مساعدة مالية في مقدورنا أن نقدمها ولكننا نبخل بها عليهم؟

الوصية السادسة: "لا تقتل"

ليست هذه الوصية مجرد نهي عن ارتكاب جريمة القتل ولو أن النظرات تقتل لرأينا عدداً كبيراً من قتلاها، ولو أن الكلمات النابية القاسية تقتل لأصبح الكثيرون من المجرمين أو الضحايا وفي الواقع، أن يسوع علّم في موعظته على الجبل (متى 5: 21-26) أن من يغضب على أخيه باطلاً أو يهين أخاه، فإنه يرتكب خطية القتل، ولذلك يصل بنا الرسول يوحنا في رسالته الأولى 3: 15 إلى خلاصة القول: "كل من يبغض أخاه هو قاتل نفس" ولعلنا ندرك من هذا القول أن عدم ضبط النفس، وحدّة الطبع،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وإفلات زمام الشهوات، وثورة الغضب والهياج، والحنق والتعطش إلى الانتقام لهـــي جرائم قتل، فيمكن بترويج الإشاعات المغرضة الرديئة وبالإهمال والقسوة المقصودة، وبالحسد والكيد والضغينة، أن نقتل عدداً من إخوتنا.. وألسنا نفعل ذلك جميعاً؟

الوصية السابعة: "لا تزنِ"

لعل هذه الوصية أيضاً تحمل في طياها ما هو أعمق أثراً وأبعد مدى من مجـــرد عدم الأمانة الزوجية، فإنها تتضمن ارتكاب الزنى قبل الزواج، كما تتضمن ما يفعله بعض الناس في بعض البلدان ألا وهو الاستباحة في العلاقات الأخلاقية، والتمادي في خطية الزنى مع الجنس الآخر قبل عقد الزواج، كما يستهتر البعض بحجة التجربة أو الاختبار، إنها تعني المداعبة الطائشة والاقتحام كما تعني العادات السرية وكل انحراف جنسي، ولئن كان الرجل والمرأة غير مسؤولين عن وجود الانحراف في الغرائز، لكنهما مسؤولان تماماً عن الانغماس في إشباع الشهوة البهيمية، كما تتضمن الإفراط الجنسي في الزواج كما تشمل معظم– إن لم يكن كل– حالات الطلاق كما أنها تنهي عـــن قراءة الكتب الجنسية المثيرة، وعن السعي لإرضاء النفس بالأفكار الدنسة، وقد أوضح يسوع هذا الكلام في قوله الصريح: "كل من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" (متى 5: 28) فكما أن حيازة الأفكار الدنسة في القلب يعتبر زنى.. وحقيقـــة الأمر أ، هذه الوصية تشمل كل سوء استعمال لأية قوة أو موهبة نبيلة منحها لنا الله كما تحوي كل تحقير وإقلال لقيمة عطاياه المقدسة الجميلة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الوصية الثامنة: "لا تسرق"

السرقة هي سلب أي شيء مما يملكه إنسان آخر، أو مما هو حق له.. فليس المقصود هنا هو سرقة الأموال والمقتنيات فقط ولكن أيضاً محاولة التهرب من دفع الضرائب أو التحايل على تخفيفها والهرب منها أو الإقلال من ساعات العمل المطلوبة، وهنا نرى الفرق بين مقاييس الله ومقاييس العالم، فما يسميه العالم مكسباً يدعوه الله سرقة، وما يحسبه العالم ربحاً أو توفيراً، يعتبره الله سرقة أيضاً. فإن شغلّت العامل أكثر من الوقت المقرر، أو دفعت له أجراً أقل مما يستحق فقد نقضت هذه الوصية.. وقليلون منا– إن وجد– هم الذين ينفذون هذه الوصية بأمانة وإخلاص في أعمالهم العامة والخاصة.. وكما كتب "أرثر هوك كلاو" ما معناه:

"لا تقتل": بل يكفي أن تتغاضى عما يحفظ حياة أخيك.

"لا تسرق": وفي وسائلك للغش والتمويه ما يشبعك ويستهويك. زد على ذلك، فإن لهذه الوصايا السلبية جوانب إيجابية ولكي يتجنب الإنسان جريمة القتل، عليه أن يسعى جاهداً للمحافظة على صحة الآخرين وحياتهم، ولكي يترفع عن خطية الزنى ويمتنع عنها عليه أن يقف موقف الطهارة والشرف والنبل من الجنس الآخر.. فالامتناع عن السرقة ليس فضيلة في حد ذاته، إن اتصف صاحبه بالشح والبخل والتقتير والخسّة.. وقد جاء في قانون الإيمان الاسكتلندي المختصر ما معناه: "أن هذه الوصية الثامنة تتطلب بأننا– بكل طريقة مشروعة– يجب أن نعمل على حفظ وإكثار

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

دخل ومقتنيات الآخرين" —ولم يقتنع الرسول بولس بالقول أن اللص يجب أن يمتنع عن السرقة، ولكن عليه أن يشتغل وأن يعمل "فلا يسرق السارق في ما بعد بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيده ليكون له أن يعطي من له احتياج" (أفسس 4: 28) أي يتحول من سارق ناهب، إلى محسن شريف.

الوصية التاسعة: "لا تشهد على قريبك شهادة"

تتعلق الوصايا الخمس الأخيرة باحترام حقوق الآخرين، الذي هو المحبة الحقيقية.. وإن نقض إحدى هذه الوصايا معناه أن تسلب أثمن وأحب ما لديه فالوصية "لا تقتل" تعني حياته و"لا تزنِ" تعني عائلته وشرفه و"لا تسرق" تمس ممتلكاته ومقتنياته، بينما تشير الوصية التاسعة إلى صيته وسمعته في القول: "لا تشهد على قريبك شهادة زور".. ولا تقتصر هذه الوصية على الشهادة في المحاكم فقط، ولكنها تصل إلى حد الحلف بالكذب، شاملة كل أنواع النميمة والوشاية والأحاديث البطالة والاغتياب، وكل صنوف الكذب والمبالغات وتحريف الصدق وتضليل الحقائق، ويمكن أن نجعل من أنفسنا شهود زور بالاستماع إلى الشهادات المغرضة، أو نقلها أو ترويجها، أو بالتسلية والمزاح على حساب سمعة الآخرين، أو بترك انطباعات وتأثيرات غير صحيحة،أو بالإهمال في تصحيح بيانات أو عبارات محرّفة غير صادقة، أو بسكوتنا كما بكلامنا.

الوصية العاشرة: "لا تشته"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

تبدو الوصية العاشرة بطريقة ما، أكثر الوصايا إعلاناً لأنها تسمو بالوصايا من صعيد الشريعة المدنية إلى صعيد الأخلاق الشخصية وتجعل منها شريعة قانونية خارجية، بل مقياساً أدبياً داخلياً، فالشريعة المدنية لا تستطيع أن تنفذ إلينا أو توقعنا تحت القصاص إذا اشتهينا، ذلك لأن الاشتهاء أمر يتعلق بحياتنا الداخلية ويتربص في القلب وفي الفكر، ولا لذة ولا سبيل للشريعة المدنية في الوصول إلى الاشتهاء ما لم تنقلب وتتحول إلى طريقة فعلية. كما الشهوة للزنى، والطبع للقتل كذلك الاشتهاء للسرقة، وإنه لمن المدهش حقاً أن نلاحظ أن الأمور التي تنهانا عنها هذه الوصية كي لا نشتهيها، تتمشى حتى مع عصرنا الحاضر- ففي هذه الأيام التي فيها تعم الشكوى من النقص في البيوت والخدم، نرى من يشتهي بيت الجيران، وخدم الجيران، ولولا طمع الرجال في زوجات جيرانهم، لما امتلأت محاكم الطلاق إلى هذا الحد، ويقول الرسول بولس: "الطمع الذي هو عبادة الأوثان" (كولوسي 3: 5) ونرى مقابله "وأما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة" (1 تيموثاوس 6: 6).

إن في إعادة ودرس هذه الوصايا، كشف القناع عن قائمة طويلة من الخطايا، فإن أشياء كثيرة تحدث بعيداً عن أنظارنا، وتحت سطح حياتنا، وفي خفايا عقولنا، لا يمكن للعالم أن يراها، والتي نحاول أن نخفيها عن أنفسنا، ولكن الله يرى جميع هذه الأشياء.. لأن عينيه تخترقان أستار الظلام، "وليست خليقة غير ظاهرة قدّامه بل كل شيء مكشوف لعيني ذاك الذي معه أمرنا" (عبرانيين 4: 13) فإنه يرانا على حقيقتنا،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وتكشف شريعته مدى اتساع خطايانا وخطورها، والواقع أن غرض الناموس هو كشف الخطية، لأن "بالناموس معرفة الخطية" (رومية 3: 20).

لما كان سبرجون- أمير الوعاظ- في الرابعة من عمره تملّكه تبكيت شديد على خطيته، كان قد بدأ معه وهو في العاشرة وقد سيطرت عليه فكرتان، ملأتاه بالرعب والتوبة هما: "جلال الله وشناعة خطاياي" كما قال وقد سحقته فكرة عدم استحقاقه فقال: "إنني لا أتردد في قولي، إن من يفحص حياتي لن يرى فيها أية خطية خارقة للعادة، ولكن عندما نظرت إلى نفسي، رأيت فيها خطية مرعبة ضد الله. و لم أكن مثل باقي الأولاد الكذّابين الخائنين الحالفين وهكذا.. ولكن على حين غرة، تقابلت مع موسى، يحمل الشريعة أي وصايا الله العشر.. وسرعان ما قرأها حتى رأيت أن جميعها تدينني أمام عيني الله المثلث الأقانيم".. وهكذا هو الحال معنا، لن يبكّتنا على خطايانا شيء كما تبكتنا شريعة الله البارة".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الفصل السادس

نتائج الخطية

أوضحنا فيما سبق أن الخطية داء عام، ينتشر بين البشر، وحاولنا أن نستعرض طبيعتها بالرجوع إلى الوصايا العشر، ويليق بنا أن نترك هذا الموضوع البغيض، وننتقل إلى الأخبار السارة الخاصة بخلاص المسيح، ولكن لا نزال غير مستعدين لذلك، بل لا بد من إعادة الحديث عن ناحية أخرى من الخطية قبل أن نبلغ حد تقدير قيمة ما يعمله الله لأجلنا وما يقدمه لنا في المسيح ألا وهي أثمار الخطية ونتائجها، فقد تكون الخطية أمراً واقعاً، وأمراً عاماً، لكنها أمر واقعي خطير جداً، فما هي نتائجها الرئيسية؟ ويمكننا فهم الشرور الناتجة عن الخطية، عندما نرى تأثيراتها نحو الله، وعلى أنفسنا وعلى رفاقنا..

1- الابتعاد عن الله

عسى هذه أروع نتائج الخطية جميعاً، أنها تبعدنا عن الله، مع أن غاية الإنسان العظمى هي أن يعرف الله، وأن يكون على صلة شخصية مع الله، ولعل أهم ما يدّعيه الإنسان في انتسابه للنبل هو أنه خلق على صورة الله، ولذلك فانه قادر على أن يعرفه، ولكن الله الذي قُصد بنا أن نعرفه، والذي يجب أن نعرفه، إنما هو كائن أدبي، انه الإله الغير المحدود في كل كمالاته الأدبية فهو إله قدوس وطاهر وبارّ وهو "العليّ المرتفع الساكن الأبد القدوس اسمه" (أشعياء 57: 15) "ساكناً في نور لا يُدنى منه.." (1

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

تيموثاوس 6: 16) وحقاً "إن الله نور وليس فيه ظلمة البتة" حتى "إن قلنا أن لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة نكذب ولسنا نعمل الحق" (1يوحنا 1: 6، 5) "...إلهنا نار آكلة" (عبرانيين 29:12، تثنية 24:4) " ومن منّا يسكن في نار آكلة؟ من منّا يسكن في وقائد أبدية؟" (أشعياء 14:33) "وعيناك أطهر من أن تنظرا إلى الشر ولا تستطيع النظر إلى الجور" (حبقوق 13:1).

إن جميع رجال الله الأتقياء، الذين ورد ذكرهم في الكتاب المقدس، ممن رأوا مجد الله، ارتعبوا وتحيروا، شعوراً منهم بخطاياهم وهاكم موسى عندما ظهر له الله في العلّيقة التي تشتعل دون أن تحترق "غطّى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله" (خروج 3: 1- 6) وأيوب الذي كلّمه الله "من الزوبعة" بكلمات التعظيم لجلاله الأقدس صرخ قائلاً: "بسمع الأذن سمعت عنك، والآن فقد رأتك عيني.. لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد" (42 : 5- 6) وأشعياء وهو يقف على عتبة مستقبله النبوي، رأى الله الملك: "جالساً على كرسيّ عالٍ ومرتفع".. ورآه محاطاً بالملائكة الساجدين الذين تغنّوا بقداسته ومجده فقال: "ويل لي إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين لأن عيني قد رأتا الملك ربّ الجنود" (6 : 1- 5) وها حزقيال عندما رأى رؤياه الغريبة عن الحيوانات ذوات الأجنحة، والبكرات السائرة معها، وفوقها عرش، وعلى العرش شبه كمنظر إنسان، ومنظر نار ولها لمعان من حولها، كمنظر القوس التي في السحاب يوم مطر، رآه وقال " هذا منظر شبه مجد الرب" ثم أضاف قوله: "ولما رأيته خررت على وجهي وسمعت صوت متكلم" (1: 26- 28) وهاكم شاول الطرسوسي، في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

طريقه إلى دمشق وهو ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب والمسيحيين، سقط على الأرض عندا أبرق حوله بغتة نور من السماء في نصف النهار، أفضل من لمعان الشمس، وكتب فيما بعد عن رؤياه للمسيح المقام قوله: "وظهر لي أنا" (أعمال 9: 1- 9، 1 كورنثوس 15: 8) ويوحنا الشيخ وهو منفى في جزيرة بطمس يصف بتفصيل وإسهاب، رؤيا يسوع المقام والممجّد الذي "عيناه كلهيب نار..ووجهه كالشمس وهي تضيء في قوتها" ثم يردف قائلاً: "فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت" (رؤيا 1:9- 17).

ولو رفع الستار الذي يحجب جلال الله الذي لا يُنطق به، لو رُفع لحيظة لما قدرنا أن نحتمل منظره.. ورغم معرفتنا الضئيلة بطهارة وسمو مجد الله القدير، إلا أننا نعرف ما يؤكد لنا بأن الإنسان الخاطئ إذا ظلّ في خطاياه، فلن يقدر أن يدنو من الله القدوس وثمة هوة سحيقة قائمة بين الله في قداسته وبرّه، وبين الإنسان في خطيته وشرّه!! "لأنه أية خلطة للبر والإثم وأية شركة للنور مع الظلمة؟" (2كورنثوس 6: 14) ولعلّنا نرى كيف تفصلنا الخطية عن الله، في طريقة تصميم خيمة الاجتماع والهيكل، وكلاهما كان منقسماً إلى قسمين: أولهما وأكبرهما: هو القدس وثانيهما وأصغرهما: هو قدس الأقداس، حيث نور المجد الإلهي، وهو الرمز المنظور لحضور الله، وكان الحجاب يفصل بين الاثنين، وهو عبارة عن ستار كثيف يحجب قدس الأقداس، ولا يجوز لأحد أن يدخل إلى حضرة الله، سوى رئيس الكهنة، الذي يدخل مرّة واحدة في السنة، في يوم الكفارة العظيم بشرط أن يقدّم دم ذبيحة الخطية، وما كان يجري أمام الشعب قديماً، قام بتعليمه كتبة العهدين القديم والجديد فإن الخطية تفصلنا تماماً عن الله، ويسمي الكتاب هذا الانفصال بالموت "الموت الروحي" أو انقطاع النفس تماماً عن الله محييها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

"لأن أجرة الخطية هي موت" (رو 6: 23) وزد على ذلك، فإن النفس التي ترفض يسوع المسيح في هذا العالم، والذي فيه وحده تجد الحياة الأبدية، فإنها سوف تموت أبدياً في الدهر الآتي.. ولا يخدعنّكم أحد فإن جهنم حقيقة واقعة مرعبة، تكلم عنها يسوع نفسه، وأطلق عليها اسم "الظلمة الخارجية" (متى 25: 30) لأنها انفصال غير محدود، عن الله الذي هو نور – كما يسميها الكتاب المقدس "الموت الثاني" و"بحيرة النار" وهي عبارات تصف رمزياً، فقدان الحياة الأبدية، وعطش النفس المفجع الناتج عن ابتعاد النفس كلية من حضرة الله (رؤيا 20: 14 ، 15 ؛ قابل لوقا 16: 19 – 31).

و لم يقتصر الكتاب المقدس وحده، على التعليم عن هذا الانفصال عن الله بسبب الخطية، ولكن اختبار البشر أنفسهم يثبت ذلك ولا أزال أذكر حتى الآن، مقدار ارتباكي وحيرتي وأنا ولد صغير، عندما وقفت أصلّي وحاولت أن اخترق إلى حضرة الله – وما استطعت أن أفهم لماذا ظهر الله كما لو كان محتجباً وراء السحب و لم أقدر أن أدنو منه وبدا كأنه بعيد عني كثيراً جداً، وقد عرفت السبب الآن لأن أشعياء أعطاني الجواب في قوله: "ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص و لم تثقل أذنه عن أن تسمع، بل آثامكم صارت فاصل بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع" (أشعياء 59: 1، 2) وقد نجرّب أن نقول لله كما جاء في مراثي أرميا (3: 44) "التحفت بالسحاب حتى لا تنفذ الصلاة". وحقيقة الأمر أن الله بريء من هذا السحاب، واللوم كله علينا، لأن خطايانا قد سترت وجهه عنا، كما تحجب السحب الشمس، وان كثيرين من الناس اعترفوا أمامي، بأنهم جازوا في مثل هذا الاختبار المقفر المؤلم أن في الحوادث الطارئة أو الخطر أو الفرح أو الإعجاب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بالجمال فقد ظهر الله قريباً منهم، ولكنهم مراراً وتكراراً يحسّون بابتعادهم المرير عن الله، ولا يدرون لذلك سبباً، سوى أن نفوسهم متروكة وليس هذا مجرد شعور أو إحساس فقط، ولكنه حقيقة واقعة- وإلى أن تُغفر خطايانا وتُطهّر آثامنا، نظل غرباء وبعيدين- وتبقى نفوسنا هالكة ضالة وليس لنا شركة مع الله لأننا "أموات بالذنوب والخطايا" التي نرتكبها (أفسس 2: 1).

هذا هو سبب قلق الناس في عصرنا الحاضر، ففي قلوب البشر جوع، لن يسده أو يشبعه سوى الله نفسه، وفي نفوسهم فراغ لن يملآه إلا الله وحده، ولعلنا نرى الدلائل التي تنبئ عن شدة قلق الإنسان، وافتقاره إلى عنصر الرضى والاكتفاء، فيما نراه بين سعي متواصل جرياً وراء الأخبار المثيرة العاطفية في الصحف، أو القصص الغرامية المتطرفة، أو الحوادث الإجرامية في دور السينما، أو في أعمدة التلفزيون المرتفعة إلى السماء وغيرها..وقد يكون بعض هذه الأشياء بريئاً في ذاته، لكنّ الخطر هو الإسراف والمبالغة في تقدير أهميتها، عند الملايين من البشر، يقلل من شعور الإنسان بعطشه نحو الله، وبانفصاله عنه تعالى، ولعل القديس أوغسطينوس كان على حق، في كلماته التي بدأ بها اعترافاته، وأكثر من تكرارها بين الفينة والفينة وهي: "لقد خلقتنا لنفسك، وستظل قلوبنا قلقة حتى تستريح في شخصك".

يا له من موقف مفجع ومؤلم للغاية! لأن الإنسان لم يصب الهدف و لم يحقق المصير، الذي خلقه الله لأجله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

2- الاستعباد للنفس

لا يقف خطر الخطية عند حد الابتعاد عن الله، بل يتعداه إلى الاستعباد للنفس، فالخطية لا تكتفي بفصلنا عن الله وإبعادنا عنه بل تأتي بنا إلى العبودية والأسر، وخليق بنا الآن أن نتأمل في دواخل الخطية وبواطنها، لأنها ليست مجرد عمل خارجي رديء أو عادة سيئة، لكنها فساد داخلي عميق المدى، وما الخطايا التي نرتكبها سوى تعبيرات ظاهرة خارجية لهذا المرض الداخلي الخفيّ الخبيث، وقد أوضح يسوع ذلك في حديثه في إنجيل متى 12: 32- 35 مبيّناً أن طبيعة الثمر يتوقف على طبيعة الشجرة عينها، وهكذا أفعالنا ان هي إلا تعبير عما في قلوبنا "فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم".. وعلى نفس القياس، إن البقع الحمراء التي تظهر على الجسم ليست هي مرض الحصبة، لكنها علامات وأعراض للمرض الذي غزا الجسم، وخطايانا علامات تكشف عن مرض روحي، أصاب قلب الإنسان "والقلب أخدع من كل شيء وهو نجيس من يعرفه" (ارميا 17: 9) وقال يسوع: "لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة، زنى فسق قتل سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجّس الإنسان" (مرقس 7: 21 -23)والكتاب المقدس مملوء بالإشارات إلى وبأ وعدوى الطبيعة البشرية، وهذا نفس ما قصده اللاهوتيون بقولهم: "الخطية الأصلية".. وهي كما جاءت في المادة التاسعة من قانون كنيسة انكلترا "...هي الخطأ والفساد في طبيعة كل إنسان...وان هذه العدوى الكامنة في الطبيعة تبقى وتدوم.." فالخطية الأصلية هي ميل أو انحراف

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

نحو الخطية ونحو عبادة الذات نرثه، وهو متعمق في داخل شخصياتنا البشرية، ويُظهر نفسه في آلاف الطرق القبيحة وقد أسماه بولس "بالجسد" وذكر قائمة بأعمال هذا الجسد في قوله: "وأعمال الجسد ظاهرة التي هي زنى عهارة نجاسة دعارة عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل بطر وأمثال هذه" (غلاطية 5: 19-21).

ولأن الخطية هي فساد داخلي في طبيعة البشر، نقع نحن في العبودية والأسر، وليست الأعمال أو العادات الخاصة هي التي تستعبدنا وتأسرنا، ولكن العدوى الشريرة الفاسدة التي منها تنبع هذه الأعمال والعادات.. وكثيراً ما وصف العهد الجديد، الناس بأنهم "عبيد" وهو تعبير نمقته ونبغضه رغم صحته وصدقه وهاكم يسوع قد أثار حقد الفريسيين وغيظهم عندما قال لهم: "إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي وتعرفون الحق والحق يحرركم. فأجابوه إننا ذرية إبراهيم ولم نستعبَد لأحد قط. كيف تقول أنت أنكم تصيرون أحراراً. أجابهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" (يوحنا 8: 31- 34) وها بولس الرسول يصف مراراً في رسائله، العبودية المهينة المريرة، التي توقعنا فيها الخطية ويقول: "..فإنكم كنتم عبيداً للخطية" (رومية 6: 17) "الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار" (افسس 2: 3) "لأننا كنا نحن أيضاً قبلاً أغبياء غير طائعين ضالّين مستعبدين لشهوات ولذّات مختلفة" (تيطس 3: 3) ويعطينا الرسول يعقوب مثلاً يبيّن عجزنا في ملك أنفسنا، وذلك بصعوبة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ضبط اللسان، ففي الإصحاح الثالث يعطي عدّة تشبيهات وأمثلة ويقول: "إن كـــان أحد لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً" ثم يقـــول: "هكذا اللسان أيضاَ هو عضو صغير ويفتخر متعظّماً" وان تأثيره يمتدّ كما تمتد النيران لأنه "شر لا يضبط مملوء سماً مميتاً" وان بالإمكان "أن كل طبع للوحـــوش والطيـــور والزحافات والبحريات يُذلّل، وقد تذلّل للطبع البشري. وأما اللسان فلا يستطيع أحد من الناس أن يذللـــه" (يعقوب 3: 1- 12).

إننا نعرف ذلك جيد المعرفة، ولنا الكثير من المثل العليا السامية ولكن إرادتنـــا ضعيفة واهنة، وكلنا يريد أن يحيا حياة صالحة ولكنا مقيدون بسلاسل ومسجونون، ولسنا أحراراً بل عبيداً وخليق بنا أن نضم صوتنا إلى صوت "ستادارد كنيدي" ونأتي إلى الله بدموع صارخين قائلين:

" لم يكمل شيء يا ربي والهي

لم يكمل شيء إطلاقاً

ما خضت معركة في حياتي

ما حقّقت نصرة أبداً

والآن ما أنا كما أنا آتي إليك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

معترفاً بفشلي وخيبة أملي

لأني اتكلت على نفسي، وأنا إنسان بشريّ

بشريّ أنا، وهذا هو سر عجزي وهزيمتي

وليس من المستحب أن تُعطي لنا قوانين للسلوك والأخلاق نعجز عن حفظها وإتمامها، ولو ظَلَّ الله تعالى ينهانا بقوله: "لا..لا.." فإننا نستمر نفعل ما نريد غير آهين ولا مهتمين، ولسنا في حاجة إلى محاضرة ولكن حاجتنا العظمى إلى مخلّص.. فلا يكفي أن نحصل على ثقافة وتهذيب، بل يجب أن ننال تغييراً وتجديداً في القلب، وميل الإنسان إلى القوة أكثر من النصح فقد اكتشف سرّ القوة الطبيعية، وها اكتشافاته في عالم القوى الذرية تكتسح الميادين بشكل يخيف كل العالم.. وحاجة الحاجات هي إلى القوة الروحية القوة التي تحرره من نفسه، القوى التي تقهر نفسه وتملكها، القوة التي تسمو بمقاييس أخلاقه الأدبية حتى تبلغ حد مشروعاته العلمية التي حققها.

3- الكفاح مع الآخرين

لم ننتهِ بعد من قائمة نتائج الخطية المريعة، ولا يزال أمامنا حقيقة أخرى، جديرة بالتأمل والتفكير، وقد عرفنا أن الخطية داء دفين في أعماق طبيعة الإنسان، تكمن في أعمق ما في شخصه، وتسيطر على ذاته ونفسه، وحقيقة الأمر إن الخطية هي النفس، وان جميع خطايانا، إذاً، هي طلبات النفس ضد الله أو الإنسان، إن الوصايا العشر،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وهي عبارة عن سلسلة من النواهي والسلبيات، تضع أمامنا واجباتنا نحو الله والآخرين، ونرى ذلك بصورة أوضح في خلاصة الناموس ايجابياً، كما وضعه يسوع بربط آية من سفر اللاويين (19: 18) مع آية أخرى من سفر التثنية (6: 5) فقال: "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه الوصية الأولى والعظمى والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء" (متى 22: 37- 40) وجدير بالاهتمام أن الوصية الأولى تتعلق بواجبنا نحو الله، وليس واجبنا نحو القريب، وينبغي أن نحب الله أولاً، ومن ثم نحب القريب كما نحبّ أنفسنا، وأما الخطية فهي عكس ذلك تماماً، فإنها تجعلنا نضع أنفسنا أولاً، ونضع قريبنا ثانياً، ثم الله في المؤخرة. ولعل الكتاب الذي أصدره حديثاً ا. س ترنبل بعنوان "نفسي الحبيبة" ما هو إلا تعبير عما يفكّر فيه كل واحد منا عن نفسه، ونلاحظ عندما تأتي "البوظة" أو "الجيلاتي" في حفلة أمام الأولاد، أو عندما يقتربون من الطاولة للعب نلاحظ التحفز الظاهر، ولسان حال كل واحد يقول: "أنا أولاً" وعندما نكبر، ونتعلم ألا نقول مثل هذا الشيء، إلا أننا نفكّر فيه ونفعله، وان تعريف رئيس الأساقفة "وليم تمبل" يصف هذه الحقيقة تماماً في قوله: "أنا" هي مركز العالم الذي أراه وان دائرة الأفق تتوقف على حيث أقف.. وقد يجعل التهذيب والثقافة، تأليه نفسي، أقل خطراً وأخف ضرراً، وذلك بتوسيع أفق اهتمامي، مَثَلنا في ذلك مَثَل من يصعد برجاً مرتفعاً حيث يتسع أفق الرؤية الطبيعي، مع الإبقاء على نفسي – أي أنا – مركزاً رئيسياً ومرجعاً وحيداً".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

إن تأليه النفس ووضعها مركزاً للحياة، لا يظهرها كأنها ضد الله فقط، ولكن يكشفها ضد إخوتنا ورفاقنا، ويقول السر سيدني سميث – عميد كلية الطب في جامعة أدنبرة – "بأن الطفل يأتي إلى العالم وفي طبيعته العداء والشر، وحبّ الاستطلاع، والإجرام الكامن في جميع الأحوال" ويضيف المعقّب على هذا قوله: "وقد تعلّمت في شبابي أن أسمّي هذا بالخطية الأصلية". أما مشكلة العلاقات البشرية، فهي عامة اليوم، كما كانت كل يوم.. وليس من السهل أن يجلس الإنسان في المقاعد الخلفية، أو يُذكر اسمه في المرتبة الثانية بعد شخص آخر، لكننا نسعى أن نأخذ المتكأ الأول، وأن نكون في الطليعة.. ونفعل ذلك عفواً وبدون تفكير، ويحدث عادة أننا نأخذ الطعام لأنفسنا أولاً، وعندما نجلس إلى المائدة، وننسى أن نعطيه لجارنا، ونهتم بأنفسنا ونأكل دون أن نعير أي اهتمام بمَن يجلس بجانبنا، ونحاول أن نأخذ الأولوية والأفضلية عن غيرنا، إن أمكننا التهرب من أعين المراقبين، ونفضّل الكلام على الاستماع، والأخذ دون العطاء.

أجل! إن الحافز للأنانية والمصلحة الشخصية، لا يُظهر ذاته ضد لله فقط، ولكنه يظهر أيضاً ضد الإخوة والرفاق.. وهذا معناه إما أن يكون عندنا مركب السمو أو مركب النقص، وليس من السهل أن ننسجم مع مَن حولنا، ظناً منا أننا أرفع أو اقل منهم شأناً، وننتظر في مثل هذه الحالة الأخيرة، أن يلاحظ الآخرون تواضعنا ويمدحونه، ويندر أن يكون لنا ما أسماه بولس الرسول "بالحكم السديد" عن أنفسنا (رومية 12: 3) "فاني أقول لكل من هو بينكم أن لا يرتيء فوق ما ينبغي أن يرتيء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بل يرتيء إلى التعقل" ويبدو البعض منا شديدي الحساسية، بينما يظهر البعض الآخر حسودين سلبيين، محتقرين وعديمي التفكير.. وقد تعقدت العلاقات في الحياة – مابين الوالدين والأولاد، والزوج والزوجة، ورب العمل والعامل – وتعدّدت أسباب انحراف الأحداث، ويعزى الكثير منها إلى انعدام الطمأنينة والأمن في البيوت، ولكن الواقع هو أن الأحداث المنحرفين (مهما كانت الأسباب) يفرضون أنفسهم عالة على المجتمع، ويمكن تفادي المئات من حوادث الطلاق، لو اتضع الأزواج ولام الواحد منهم نفسه أكثر من غيره، وعندما كانت تعرض عليّ مشاكل الأزواج، بسبب الخطر الذي يهدد زواجهم، كنت ألاحظ أن كل واحد من الزوجين يروي قصة تختلف تمام الاختلاف عن الآخر، حتى لا يكاد السامع يصدّق أنهما يرويان ظروف وملابسات قضية واحدة ويرجع السبب في معظم المنازعات والخلافات إلى سوء تفاهم منشؤه عدم تقدير الواحد لوجهة نظر الآخر، ونرى صحة هذه الحقيقة في الخلافات المهنية كما في الخلافات البيتية، وكم من منازعات تحدث في دائرة العمل والعمال، يمكن تلافيها لو أن كلاً من الجانبين فحص وجهة نظره أولاً فحصاً دقيقاً، ثم يفحص وجهة نظر الآخر بروح المحبة والتسامح، ولكن عوضاً عن ذلك فإننا ننظر إلى أنفسنا دائماً بعين التسامح والتساهل، وننظر إلى الآخرين بعين الانتقاد، ولعل هذا يصدق على القلق الدولي الذي يزداد تعقيداً فإن التوتر السائد اليوم يرجع – إلى حد كبير – إلى الخوف والغباء، وإننا نراقب الأمور من ناحية واحدة، إذ نبالغ كثيراً في ذكر فضائلنا، وبيان نقائص وعيوب الآخرين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ومن السهل أن نلوم العلاقات الاجتماعية في عصرنا الحاضر والسبب الوحيد لذلك هو لكي نبيّن كيف أن خطية البشر وتأليه أنفسهم تسـبّب كـل مشـاكلنا ومتاعبنا، وتأتي بنا إلى النزاع بين بعضنا البعض ولو أن روح الأنانية وحبّ الذات، قد استبدل بروح التضحية وإنكار النفس، لتلاشت كل الخلافات. ويطلق الكتاب المقدّس على إنكار النفس أو التضحية اسم "المحبة" فبينما نرى أن طبيعة الخطية هي الاستملاك والأخذ نرى أن طبيعة المحبة هي البذل والعطاء، وقد صدق من قال ما معناه:

"المحبة تبذل وتعطي

وتغفر وتضحي ولا تبطئ

تقف دائماً وهي مفتوحة اليدين

وتحيا لكي تعطي، كما تعطي لكي تحيا

لأن هذه طبيعة المحبة الحقة

أن تعطي وأن تعطي وأن تعطي".

إن أشد ما يحتاجه الإنسان هو تغيير جذري في طبيعته، وهو التغيير الذي قصده الأستاذ "هـ .م. غواتكن" في قوله: "تحوَّل من النفس والأنانية إلى الغيرية أو بعبارة أخرى من الإيثار إلى الأثرة" ولن يستطيع الإنسان أن يفعل ذلك بنفسه ولنفسه، ولذلك فهو يحتاج إلى مخلّص.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

إن في كشفنا لخطايانا هدفاً واحداً فقط، ألا وهو لإقناعنا بحاجتنا إلى يسوع المسيح، ولإعدادنا لفهم وقبول ما يقدّمه لنا فالإيمان وليد الحاجة، فلن نقبل المسيح ما لم نشعر بحاجتنا إليه وقد قال يسوع: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة" (مرقس 2: 17)، ولن نعترف بحاجتنا الماسة إلى طبيب النفس والروح، ما لم ندرك ونقرّ بمرضنا وشدة وطأته، فالمسيحية هي دين الإنقاذ والخلاص، ولن يقدرها الناس حق قدرها، ما لم يعرفوا حاجتهم إلى الخلاص.

وسوف نرى في الفصلين القادمين كيف أن الله تعالى اخذ المبادرة في المسيح، لكي يحل مشكلة الإنسان، أي خطيته. وسنرى كيف نتغلب على نتائج الخطية المريرة الثلاث، في المسيح يسوع الذي مات من اجل خطايانا، لكي يضع حداً لابتعادنا وانفصالنا عن الله، ويأتي بنا إليه مرة ثانية، وقام من بين الأموات، وأرسل الروح القدس حتى يُولد الناس من فوق، لكي ينالوا طبيعة جديدة ويصيروا أحراراً من أسر الخطية، وقد أسّس أخوّة جامعة في كل أنحاء العالم، ألا وهي الكنيسة المسيحية، حيث يربط شعبه رباطُ المحبة الكامل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

عمل المسيح

الفصل السابع

موت المسيح

بما أن الإنسان خاطئ، فانه في حاجة إلى مخلّص، وقد جاء يسوع المسيح لإتمام هذا الدور "وان الآب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم" (1يوحنا 4: 14) والواقع لا يستطيع أحد أن يكون مخلّصاً للبشر سوى ابن الله وحده، وسوف نكشف القناع - في هذا الفصل وفي الفصل التالي - عن كيفية إتمامه هذا الخلاص.

فالخلاص معناه النجاة من الخطية، ولأن للخطية ثلاث نتائج رئيسية - كما أسلفنا - فيتضمن الخلاص، تحرر الإنسان منها جميعاً ففي يسوع المسيح مخلّصنا يمكن أن نرجع من البطل والعزلة، لكي نتصالح مع الله الآب في السماء.. ونتحرر من عبوديتنا الأدبية، وأن يحل محل النفور وعدم الانسجام، طابع شركة المحبة، وقد جعل المسيح الجانب الأول للخلاص ممكناً بموته، والجانب الثاني بعطية روحة القدوس، والجانب الثالث بناء كنيسته. وسوف يكون الأمر الأول موضوع حديثنا في هذا الفصل، على أن يكون الأمران الثاني والثالث موضوع البحث في الفصل التالي.

وصف الرسول بولس عمل المسبح بأنه: "خدمة المصالحة" (2كورنثوس 5: 18) كما وصف إنجيله بأنه "كلمة المصالحة" (5: 19) وزد على ذلك فانه يزيدها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وضوحاً في هذا النص، حيث يتحدث عن نشأة المصالحة وأصلها. فالله هو منشؤها ومصدرها كما يقول: "ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه" (5: 18) ثم "إن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه " (5: 19) وإن كل ما تم لنا بواسطة جسد يسوع فوق الصليب، كان أصلاً في فكر وقلب الله الأزلي، وان كل تفسير لموت المسيح أو خلاص الإنسان، لا يؤيد هذه الحقيقة الواقعة، لا يعتبر مخلصاً وموالياً لتعليم الكتاب المقدس "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 3: 16) وحينما يكتب الرسول بولس عن مصالحة الخطاة لله، نراه متمكناً من لغته وأقواله، فما يرسمه الله ويريده يتممه المسيح بموته "لأنه فيه سُرَّ أنْ يحلّ كل الملء وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات" (كولوسي 1: 19، 20) إن الكلمة الأصلية التي ترجمت "مصالحة" هي هي التي وردت في بعض الترجمات "كفارة" في رومية 5: 11 وان الكلمة الإنكليزية التي تعني "الكفارة" تدل على عمل بواسطته يصل فريقان متنافران إلى "واحد" أو إلى حالة من الوحدة بها ينعمان، ويقول الرسول بولس في هذا النص إننا قد نلنا هذه "الكفارة" أو بالحري "المصالحة" بواسطة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، فلم نحصل عليها نحن بجهودنا الشخصية، ولكنها عطية مجانية، لأن الخطية سبّبت إبعادنا عن الله، وقد أتمّ لنا الصليب الكفارة والمصالحة.. وولّدت لنا الخطية عداوة، وأما الصليب فقد أعاد إلينا السلام، خلقت الخطية هوة بين الإنسان والله ووضع الصليب جسراً فوق هذه الهوة، حطّمت

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الخطية الشركة، أما الصليب فقد استردّها أو بعبارة أخرى، كما كتب الرسول بولس إلى أهل رومية "لأن أجرة الخطية هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربّنا" (رومية 6: 23).

وسوف نتبرّ على أمرين ونحن نحاول أن نوصّل ما يعلّمه الكتاب المقدس عن الصليب وهما:

1. **مركزية الصليب**
2. **معنى الصليب**

1- مركزية الصليب

لا مبالغة في القول، إن الشخص الرئيسي في الكتاب هو يسوع المسيح، وان الظاهرة الرئيسية في حياته كما يصوّرها الكتاب هي موته، وليس هذا أيضاً بالعجيب، لأن غاية الكتاب غاية عملية جوهرية.. إذ هو دليل الخلاص للخطاة، فإن كان الحال كذلك فمن المحتم أن المسيح المصلوب هو الشخصية البارزة، لأن فيه الخلاص لا سواه، ولهذا استطاع المسيح أن يوبّخ تلميذي عمواس، اللذين امتلكا الكتب المقدسة ودرساها ولكنهما لم يدركا ضرورة موته فقال لهما: "أيها الغبيّان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ومن ثم يواصل لوقا حديثه قائلاً: "ثم ابتدأ (يسوع) من موسى ومن جميع الأنبياء يفسّر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" (لوقا 24: 25- 27).

كانت ديانة العهد القديم متعلقة بالذبائح منذ البدء، فمنذ عهد هابيل الذي قدّم من أبكار غنمه ومن سمانها، نظر الرب إلى هابيل وقربانه (تكوين 4: 4، 5) ثم أخذ شعب الرب يقدّمون له الذبائح وبنيت المذابح، وذبحت الحيوانات، وسفك الدم قبل أن تأتي شريعة موسى اللاوية بزمن طويل، وفي أيام موسى، بعد أن جدد الله عهده مع شعبه على جبل سيناء، تنظّم - كل ما كان تلقائياً وعرضياً - تنظم عن طريق فرائض إلهية.. وقد احتجّ أنبياء القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، ضد طقسية العبادة، وفساد وانحطاط العابدين، ومع هذا فقد ظلّ نظام الذبائح قائماً بدون انقطاع، إلى وقت خراب الهيكل في سنة 70 ميلادية، وكان كل يهودي يألف الفرائض والطقوس المختصة بذبائح المحرقة، وتقدمة الملء، وتقدمة الشكر، وذبيحة الخطية، وذبيحة الإثم، والتقدمات المناسبة، كما كان يلم تماماً بالأوقات، والمناسبات - يومية وأسبوعية وشهرية وسنوية - لتقديم هذه الذبائح والتقدمات، وما من يهودي - مهما بلغ ضعف إدراكه الديني - إلا ويعرف الحقيقة الأساسية في كل هذه العملية التهذيبية انه "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عبرانيين 9: 22).

فإذا كانت ذبائح العهد القديم ترمز بصورة منظورة إلى ذبيحة المسيح العظمى، فإن الأنبياء والمرنمين في سفر المزامير، قد تنبأوا عن آلامه أيضاً، ويمكننا أن نراها في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

صور باهتة خفيفة في شخص المتألم البريء، الذي اضطهد وتألم ظلماً ومن غير حق، في مزامير مختلفة، طبقت فيما بعد على يسوع، وها نحن نراه في صورة الراعي الذي ذكره النبي زكريا، وقد ضُرب وتبددت خرافه (زكريا 13: 7 قابل مرقس 14: 20) كما صوره دانيال بالمسيح الرئيس الذي يُقطع (دانيال 9: 25، 26) وفوق الكل نراه ممثلاً في الشخص الشريف الذي يظهر في الأناشيد الخاصة بالعبد المتألم، كما أوردها النبي أشعياء قرب نهاية سفره وقد قيل عنه انه "رجل أوجاع، محتقر ومرذول مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا.. مثل شاة تساق إلى الذبح، وهو حمل خطايا كثيرين" (أشعياء 53) وهكذا هو مكتوب "كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث" (لوقا 24: 46).

لما جاء يسوع عرف نفسه أنه ابن الله، المعيّن منذ البدء، وعلم يقيناً بأن الكتب المقدسة تشهد له، وأنه فيه يتم انتظارهم، ويبدو هذا واضحاً وصريحاً في إشارته عن آلامه العتيدة أن تكون، وقد جاءت نقطة التحول في خدمته في قيصرية فيلبس حيث "ابتدأ يعلّم تلاميذه أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً" (مرقس 8: 71) وذلك حالاً بعد أن اعترف سمعان بطرس بأنه المسيح ابن الله الحي... ولعلنا نراه في هذه الكلمة "ينبغي " وقد أوضح لنا روح الإلزام والحتمية الموضوعة عليه في الكتب المقدسة، كإعلان لإرادة الآب والتي كرّرها كثيراً في تعاليمه فقد عرف أنه كانت له "صبغة يصطبغها" وأنه منحصر حتى تكمل (لوقا 12: 50) وكان يسير بانتظام نحو ساعته التي قال عنها في إنجيل يوحنا عدة مرات أنها " لم تأت بعد" والتي عنها قال أخيراً قبيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

تسليمه، وشبح الصليب جاثم أمامه "أيها الآب قد أتت الساعة" (يوحنـــا 17: 1) ولعل وقوع المصيبة خير من انتظارها، فإن انتظار "الساعة" قد ملأه بالألم والانزعاج حتى قال: "الآن نفسي قد اضطربت وماذا أقول أيها الآب نجّني من هذه الســاعة. ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة. أيها الآب مجد اسمك" (يوحنـــا 12: 27، 28) ولما حانت ساعة تسليمه، واستلّ سمعان سيفه ليحمي سيّده، وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه، انتهره يسوع قائلاً: "ضع سيفك في الغمد. الكأس التي أعطـــاني الآب ألا اشربها؟" (يوحنا 18: 11) ويذكر متى أن يسوع أضاف قوله: "أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدّم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة. فكيف تكمل الكتب انه هكذا ينبغي أن يكون" (متى 26: 53،54).

إن أهمية الصليب العظمى التي أنبأ بها العهد القديم، وعلّم بها يسوع، صـــارت حقيقة مدرّكة لدى كتبة العهد الجديد، فقد أفرد البشيرون جانباً كبيراً من بشائرهم، للأسبوع الأخير للمسيح وموته بالنسبة لما أعطوه لخدمته وحياته، فقد شغلت الحوادث ما بين دخول المسيح الانتصاري إلى أورشليم حتى صعوده الانتصاري إلى الســـماء شغلت هذه الحوادث خمسي الإنجيل الأول، وثلاثة أخماس الثاني وثلث الثالث، ونحو نصف الرابع تقريباً، وان هذا لمدهش حقاً لا سيما في إنجيل يوحنا الذي يقسم أحياناً إلى قسمين متساويين، دُعي القسم الأول باسم "سفر الآيات والمعجزات" بينما دُعي الثاني "سفر الآلام". وقد أشارت الرسائل صراحة، لا سيما رسائل بولس، بما ذكرته الأناجيل ضمنياً وتلميحاً، فلم يأل بولس جهداً في تذكير قارئيه بالصليب، وكان هو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

نفسه يشعر شعوراً عميقاً، بأنه مديون للمخلص الذي مات من أجله "ابن الله.. الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" كما قال (غلاطية 2: 20) ولذلك "حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح" (غلاطية 6: 14) وكان لهذا الاختبار وهذا التصميم تأثير جلي في خدمته، فالأفضلية التي أعطاها لرسالة الصليب في كرازته لم ترد، في أي مكان آخر، بمثل الوضوح الذي جاء في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس وقد كان الكورنثيون عرضة للوقوع في شراك الفلسفة اليونانية ودهائها، ولكن الرسول لم يكن يساوم على رسالة الإنجيل بل كتب في صراحة يقول: "لأن اليهود يسألون آية واليونانيون يطلبون حكمة. ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة، وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله" (1كورنثوس 1: 22- 24) وهذا نفس ما كان يملك بولس، وما نادى به في كورنثوس بعدما ترك أثينا في رحلته التبشيرية الثانية قائلاً: "لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً" (1 كورنثوس 2: 2) ثم يقول أيضاً في (15: 3) "فإنني سلّمت إليكم في الأول ما قبلته أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب".

أما ما فكر به الرسول بطرس وما كتبه عن الصليب، فسوف نراه فيما بعد، وهيا بنا نتأمل قليلاً في الرسالة إلى العبرانيين، حيث ورد صريحاً وبكل جلاء انه "قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه" (عبرانيين 9: 26) وعندما نصل إلى سفر الرؤيا وهو السفر الرائع الغامض، نلقي نظرة على يسوع الممجّد بقرب عرش الله في السماء، ليس فقط "الأسد الذي من سبط يهوذا" ولكن "الخروف القائم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

كأنه مذبوح" (رؤيا 5: 5،6) ونسمع جموع القديسين والملائكة الذين لا حصر لهم ولا عد يسبحون بحمد، وبصوت عظيم قائلين: "مستحق هو الخروف المـــذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة" (رؤيا 5: 12).

ويمكننا من بداءة سفر التكوين إلى خاتمة سفر الرؤيا إلى خاتمة سفر الرؤيا، أن نتتبع ما أسماه البعض "بالخيط القرمزي "وهو أشبه بخيط ثوسيوس الذي يساعدنا على معرفة الطريق في بحر الكتب المقدسة الخضمّ، وما يعلّمه لنا الكتاب بشأن مركزيـــة صليب مخلصنا، أيقنته الكنيسة المسيحية. وكثير من الكنائس ترسم شارة الصليب عند المعمودية، ويقيمون صليباً على قبر الميت، وكم من كنيسة شُيّدت على شكل صليب، وكم من مسيحي يعلّق الصليب على صدره أو يزين به جيده، ولم يكن هذا عَرَضـــاً ومن باب الصدفة، ولكنه جوهري لأن الصليب رمز إيماننا، ومـــا يقـــال عمـــا رآه الإمبراطور قسطنطين في الفضاء نراه نحن على صفحات كتابنا المقدس: "لا نصـــرة بدون الصليب" ولا مسيحية بدون الصليب.

2- معنى الصليب

أما بعد وقد حاولت أن أبيّن مركزية الصليب، ينبغي أن أسعى لأكشف معناه، ولكن لا أجسر أن أتناول الموضوع، قبل أن أعترف بصراحة، بأن الكثير منه سوف يبقى سراً خفياً، ذلكم لأن الصليب هو المحور الذي تدور حوله أحداث التاريخ، ويا للعجب كيف أن عقولنا الضعيفة لا تدركه تماماً، ولا بد أن يأتي اليوم الذي فيه ينقشع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الحجاب، وتُحل كل الألغاز ونرى المسيح كما هو، ونعبده إلى الأبد، لأجل كل ما عمل "فإننا ننظر الآن في مرآة في لغز، لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن اعرف بعض المعرفة ولكني سأعرف كما عرفت" (1كورنثوس 13: 12) هذا ما قاله الرسول بولس مع كل ما هو عليه من علم وتهذيب وإعلانات، وان كان هو قد قال هذا فماذا نقول نحن؟

وسوف اكتفي بمحاولة تفسير بعض الشواهد التي أشارت إلى موت يسوع، كما أوردها سمعان بطرس في رسالته الأولى، وقد اخترت رسائل بطرس قصداً، لثلاثة أسباب:

أولاً: لأن بطرس كان واحداً من أصفياء المسيح الثلاثة "بطرس ويعقوب ويوحنا" وهم يكونون ثالوثاً، تمتعوا بشركة مع يسوع أكثر من بقية الإثني عشر، ولذلك يعتبر بطرس واحداً ممن فهموا فكر يسوع وتعليمه عن موته وحقيقة الأمر، إننا نجد في رسالته الأولى عدة إشارات واضحة جلية أخذها من تعليم سيده.

ثانياً: إنني أرجع إلى بطرس وكلي ثقة، لأنه كان بادىء ذي بدء، متردداً في قبول ضرورة آلام المسيح، ومع أنه كان أول شخص اعترف بشخص المسيح ابن الله، لكنه كان الأول أيضاً لينكر الحاجة إلى موته فذاك الذي صرح بقوله: "أنت المسيح" هو هو الذي صرخ بشدة قائلاً: "حاشاك يا رب. لا يكون لك هذا" عندما بدأ يسوع يعلّم بأنه ينبغي أن يتألم، وظل تحامل بطرس ضد الفكرة القائلة "إن المسيح يموت" طيلة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

حياة يسوع الباقية، حتى إنه حاول الدفاع عنه في بستان جثسيماني، ولما تم القبض على يسوع تبعه بطرس من بعيد، وأنكره ثلاث مرات أثناء المحاكمة، وما كانت الدموع التي ذرفها، دموع توبيخ الضمير فحسب، بل كانت دموع اليأس وخيبة الأمل، ولم يبدأ سمعان بطرس يفهم ويصدّق "بأن المسيح ينبغي أن يتألم بهذا ويدخل إلى مجده" إلا بعد القيامة عندما علّم يسوع الرسل من الكتب المقدسة هذه الحقيقة (لوقا 24: 26) وفي خلال بضعة أسابيع، استطاع بطرس أن يلمّ بكل الحق ويتمسك به بشدة، حتى بلغ به الأمر أن خاطب الجموع في أروقة الهيكل بهذه الكلمات: "وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن المسيح يتألم تممه هكذا" (أعمال 3: 18) وتضم رسالته الأولى عدة شواهد عن "آلام المسيح ومجده..." وكم من مرة نتردد نحن أولاً أن نعترف بضرورة ذلك، ونتباطأ في فهم معنى الصليب، وإن كان هناك من يستطيع أن يقنعنا ويعلّمنا، فهو سمعان بطرس.

ثالثاً: إن الإشارة للصليب في رسالة بطرس الأولى جاءت عرضية، فلو أن بطرس تعمّد - عن قصد - الدفاع عن حتمية آلام المسيح، لشككنا فيه، وحسبناه شخصاً لا يُصدّق ولا يعوّل عليه. ولكن كل إشارته جاءت طبيعية ساذجة بريئة، ولم يكن في موقف يمكنّه من وضع عقائد لاهوتية، لكنه كان يقدّم مجرد واجبات أدبية واضحة، ويحث الناس أن يكونوا مقدسين، وأن يحتملوا الآلام صابرين، ثم يقودهم إلى الصليب للإلهام والقدرة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وان أطول نص جاء في رسالته بشأن موت المسيح، ورد في الإصحاح الثاني، ويبدأ من العدد الثامن عشر حتى نهاية الإصحاح وأرى أن نفحصه بالتدقيق والتفصيل، حيث نلاحظ بطرس يدلنا بأن المسيح المصلوب، مات مثالاً لنا أولاً. وحاملاً لخطايانا ثانياً.

1- مات المسيح مثالا لنا:

نلاحظ إن الاضطهاد هو أساس هذه الرسالة، وقد عُرف الإمبراطور نـيرون بشدة عدائه للكنيسة المسيحية، حتى خارت قوى المسيحيين وذابت قلوبهم من شدة الخوف، وكانت قد بدأت بالفعل أعمال العدوان وآثار الاضطهاد ، حتى أن الحالـة كانت تسير من سيء إلى أسوأ، وبين المشاكل المعقدة، مشكلة الخدم المسيحيين الذين يشتغلون عند أسيادهم الوثنيين، وكانوا يتساءلون كيف يتصـرفون لـو أسـيئت معاملتهم؟ ولكي يجيب على هذا السؤال كتب بطرس رسالته إلى المسيحيين المتغربين من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وآسية وبيثينة، وقدّم لهم نصيحته واضحة صريحة مؤكداً لهم أن لا مجد لهم إن كانوا يلطمون مخطئين، داعياً إياهم أن يتألموا "من أجل البرّ" وألا يقاوموا أو ينتقموا لأنفسهم، بل يجب أن يخضعوا، لأن احتمال الأحـزان والألم ظلماً، فضل عند الله، ومن ثم يسمو بطرس بفكره إلى الصليب، ليظهر أن الآلام - بغير حق- جزء من الدعوة المسيحية ويقول: "فان المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي نتبع خطواته" (2: 21) "الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكـر،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الذي إذ شتم لم يكن يشتم عوضاً، وإذ تألم لم يكن يهدد، بل كان يسلم لمن يقضي بعدل".

"تاركاً لنا مثالاً" أن الكلمة اليونانية التي استخدمها بطرس هنا، والتي ترجمت "مثالاً" كلمة فريدة وعجيبة، لم ترد في مكان آخر في العهد الجديد، وتعني أصلاً دفتر المعلّم الذي كتبت عليه الحروف الهجائية، نموذجاً للتلميذ الذي يتعلم الكتابة والقراءة.. وإذا استطعنا أن نتقن الحروف الأولية أ ب ج من المحبة المسيحية ينبغي أن نطبق حياتنا على مثال يسوع، يجب أن "نتبع خطواته" نعم إنها كلمة خلاّقة فصيحة، حين تصدر عن قلم بطرس الذي افتخر قبلاً بأنه مستعد أن، يذهب مع يسوع إلى السجن وإلى الموت لكنه عندما جد الجد "تبعه من بعيد" وقد جدد يسوع دعوته له عند بحر الجليل وناداه قائلاً: "اتبعني" (يوحنا 21: 19،22) ولهذا يدعو بطرس قارئيه، أن يرافقوه وهو يحاول أن يتبع خطوات يسوع في طاعة أكثر.

إن الصليب يتحدانا في القرن العشرين، كما كان يتحدى الشعب في القرن الأول، وهو يناسب المواطنين في العصر الحاضر سواء في بيوتهم أو أعمالهم، كما ناسب العبيد في بيوت الرومان قديماً... ولا شيء يضاد طبيعتنا وميولنا أكثر من هذه الوصية التي تأمرنا بالخضوع وعدم المقاومة واحتمال الجور الظالم، وغلب الشر بالخير، لأننا نميل إلى الدفاع عن أنفسنا عادة، وإذا انغلبنا نقوم بأسرع من البرق ونبادر لرد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الصاع صاعين، أما الصليب فيأمرنا أن نحتمل الأذى ونحب العدو، ونسلم الأمر كله لله.

ولم يكن موت المسيح مجرد قدوة للإلهام والوحي فحسب، بل انه لو لم يكن أكثر من ذلك، لأضحت بعض قصص الإنجيل غامضة تحتاج إلى تفسير.. وإلا فما معنى أقوال يسوع، التي فيها أعلن أن "ابن الإنسان لم يأتِ ليخدَم بل ليخدُم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين؟" (مرقس 10: 45) وما قاله في العلية بأن الكأس هي دمه الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (متى 26: 28) ولو أن موت يسوع مجرد ثمن فدية لتحرير الأسرى، ولو كان سفك دمه إقامة عهد جديد بين الله والإنسان، يحصل بمقتضاه على غفران خطاياه، إذاً لما كان هذا، مجرد عمل أدبي، للإعجاب والإقتداء فلا فداء في القدوة، ولا غفران في النموذج، ولكن فضلاً عن ذلك لماذا كانت نفسه كئيبة وحزينة حتى الموت، عندما اقترب شبح الصليب؟ وكيف يمكن أن نفسّر آلامه المبرحة في بستان جثسيماني ودموعه وبكائه وعرقه الذي كان كقطرات الدم كما نرى في قوله: "يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت" (متى 26: 42) وهل هذه الكأس التي خاف أن يشربها، رمز موته على الصليب؟ فهل كان يخاف من الموت ومن الألم؟ وان كان الحال كذلك، فلا بد أن قدوته كانت مثال الخضوع والصبر، ولكن لا يمكن أن توصف بالشجاعة. ويحدثنا أفلاطون أن سقراط شرب كأس السم في سجنه في أثينا "بابتسامة ورضى" فهل كان سقراط أكثر شجاعة من يسوع؟ أم هل امتلأت كأسه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بسم آخر؟ ولكن كيف نفسّر الظلمة التي حدثت، وانشقاق حجاب الهيكل من فوق إلى أسفل، وصراخ المسيح القائل "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" ولو أن المسيح مات لمجرد القدوة والمثال، لأضحت هذه كلها بلا معنى وبلا قيمة، والواقع أن بعضها لم يكن مثالياً بالمعنى الصحيح.

ولو كان موت المسيح مجرد مثال، لبقي الكثير مما ورد في الأناجيل سراً غامضاً، ولظلت حاجتنا نحن البشر قائمة لم تسدّ فلسنا في حاجة إلى القدوة والمثال ولكننا نحتاج إلى مخلص، ففي مقدور المثل الأعلى أن يثير فينا مكامن الطموح والخيال، ويلهب مطامعنا وأمانينا، ويقوي عزمنا وتصميمنا، ولكنه لن يستطيع أن يطهّر دنس خطايانا الماضية، ويعطي سلاماً لضمائرنا المضطربة ونفوسنا المعذّبة، ويعيدنا إلى الله.

وعلى كل حال لم يتركنا الرسل حيارى بشأن هذه المسألة، فإنهم عادة يربطون مجيء المسيح وموته مع خطايانا "لأن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب" (1 كورنثوس 15: 3) "فإن المسيح أيضاً تألم مرة لأجل خطايانا" (1بطرس 3: 18) "وتعلمون أن ذلك أظهر ليرفع خطايانا" (1يوحنا 3: 5) وها نحن نرى ثلاثة من عظماء الرسل في العهد الجديد وهم بولس وبطرس ويوحنا، قد ربطوا - بالإجماع - موت المسيح بخطايانا.

2- مات المسيح ليحمل خطايانا:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

استخدم الرسول بطرس في رسالته الأولى (2: 24) هذه العبارة: "الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على خشبة" وتبدو الكلمتان "حمل خطايانا" كأهما غريبتان وثقيلتان على مسامعنا، حتى أننا نرى أنفسنا مضطرين أن نعود إلى العهد القديم، لكي نفهم هذه العبارة.. فإن هذه الفكرة ترد بكثرة في سفري اللاويين والعدد، فكم من مرة كتب عن الشخص الذي يخطئ أو يعمل واحدة من مناهي الرب التي لا ينبغي عملها ولم يعلم أنه" يحمل ذنبه "أو يحمل خطيته" وعلى سبيل المثال نذكر انه في الموضع الذي يتحدث عن واجبات الكهنة واللاويين بعد ثورة بني قورح، نجد القول: "فلا يقترب أيضاً (الشعب) إلى خيمة الاجتماع ليحملوا خطية للموت" (عدد 18: 22) ثم "إذاً أخطأ أحد وعمل واحدة من جميع مناهي الرب التي لا ينبغي عملها ولم يعلم كان مذنباً وحمل ذنبه" (لاويين 5: 17).

ويُفهم ضمناً في بعض الأحيان، أن شخصاً آخر هو الذي يحمل المسؤولية عن الخاطىء، ففي الإصحاح الثلاثين من سفر العدد، وهو الإصحاح الذي يتحدث عن النذور، يوضح موسى بأن النذر الذي ينذره الرجل أو الأرملة يجب أن يثبت، أما النذر الذي تنذره الفتاة العذراء أو المرأة المتزوجة، فانه يثبت على الأب أو على الزوج وإذا سمع الرجل زوجته وهي تنذر نذورها وسكت لها في يوم سمعه و لم يفسخه في وقته، فإن فسخه بعد سمعه "فقد حمل ذنبها" (عدد 30: 15).

ولعلنا نرى أن إمكان شخص آخر، أن يقبل المسؤولية عنا ويتحمل النتائج عن خطايانا قد علّمته وأوضحته الذبائح التي ذكرها شرائع موسى، التي قد تبدو غريبة في عصرنا الحاضر، وقد جاء عن ذبيحة الخطية، "قد أعطاكما إياه (الله) لتحملا إثم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الجماعة تكفيراً عنهم أمام الرب" (لاويين 10: 17) وكذلك يوم الكفارة السنوي فقد جاء الأمر إلى هرون أن يردده لديه على رأس تيس الخطية – رمزاً إلى نفسه وإلى شعبه – ومن ثم يعترف بخطايا الشعب ويضعها رمزياً على التيس الذي يرسل إلى البرية، ويقول عنه الكتاب: "ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم إلى الأرض المقفرة" (لاويين 16: 26) ومن هذا يتضح لنا أن معنى "يحمل الخطية" هو "حمل قصاص الخطية". والجدير بنا ونحن ندرس هذا النص، أن نشير إلى ما جاء في الرسالة إلى العبرانيين (10: 4) "لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايانا" ويمكننا أن نرى النشيد الطويل عن عبد الرب الذي ذكره أشعياء (ا ش 53) العبد المتألم وهو بريء (وهو رمز للمسيح) وكله ملآن بالتشبيهات التي تشير إلى الذبائح فنراه "كشاة تساق إلى الذبح" ليس لأنه "لم يفتح فاه" فقط بل لأن "الله وضع عليه إثم جميعنا" حتى أن نفسه صارت "ذبيحة إثم" "وكلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه" ولكنه أيضاً "كشاة تساق إلى الذبح.. مجروح لأجل معاصينا. مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا" وألسنا نرى الآن أن هذه الكلمات التي توقفنا أمام فدائه العجيب وتصفه أنه "ضُرب من أجل ذنب شعبي" تلخص في هذا الإصحاح في عبارتين، عرفناهما من سفر اللاويين وهما "وآثامهم هو يحملها" ثم "وحمل خطية كثيرين".

وفي ملء الزمان جاء يسوع الذي تنبأ عنه الناموس والأنبياء ومهّد له الطريق يوحنا المعمدان قائلاً: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" وفي الغد قال بأكثر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وضوح: "هوذا حمل الله" (يوحنا 1: 29، 36) ولا يجد كتبة العهد الجديد صعوبة في إدراك موته كذبيحة كفارية، تتم فيها جميع ذبائح سفر اللاويين ولعل هذه الحقيقة تشكل جزءاً من الرسالة إلى العبرانيين، فقد كانت ذبائح العهد القديم عبارة عن عجول وتيوس، أما المسيح فقدّم نفسه وكانت الذبائح تقدّم مراراً وتكراراً، أما المسيح فقد مات مرة واحدة فقط "قُدّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين" (عبرانيين 9: 28) وتعود بنا العبارة الأخيرة إلى ما قاله بطرس الرسول: "الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على خشبة" (1 بطرس 2: 24) فقد وضع ابن الله خطايا الناس على نفسه، ولم يكتف بأن يأخذ طبيعتنا، لكنه أخذ أيضاً إثمنا ولم يقتصر الأمر على أنه "صار جسداً" في رحم مريم العذراء، لكن ذاك "الذي لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا" على صليب الجلجلة ..(2 كورنثوس 5: 21) هذه كلمات بولس الرسول وتعتبر من أقوى تعاليم الكتاب وأشدها تأثيراً عن الكفارة والفداء ولا يمكننا أن نقلل من قيمتها أو نمرّ بها مرور الكرام، فقد أكّد بولس في الأعداد السابقة أن الله تعالى رفض أن يحسب لنا خطايانا (2 كورنثوس 5: 19) أي أنه في محبته المتفاضلة علينا، لم يحسبنا مسؤولين عن خطايانا، ولم يقبل أن يقال عنا ما قيل عن كثيرين غيرنا في العهد القديم "هم يحملون إثمهم" إذاً ماذا عمل الله؟ "انه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه" (5: 21) ولم تكن للمسيح خطية، لكنه حمل خطايانا فجعله الله الآب خطية لأجلنا فوق الصليب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وعندما نتطلع إلى الصليب، نبدأ في فهم ما تتضمنه وتعنيه هذه الكلمات. فإنه في نصف النهار تماماً "كانت ظلمة على الأرض كلها" "مرقس 15: 33) استمرت ثلاث ساعات إلى أن مات يسوع ورافق الظلمة سكون رهيب، فلم تقدر العين أن ترى ولا الشفاه أن تتكلم عن مقدار الآلام التي احتملها حمل الله القدوس، فقد وضعت عليه جميع خطايا العالم وخطايا التاريخ، وحملها طوعاً واختياراً في جسده كأنها خطاياه هو، وتحمل المسؤولية كاملة وتحت ثقلها وشدة وطأتها شعر بنوع من الوحشة الروحية فصرخ: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (مرقس 15: 34) وهذا السؤال مأخوذ عن المزمور الثاني والعشرين والعدد الأول.. ولا يستبعد أن السيد كان في تأملاته الروحية يفكر، في خلال آلامه، في وصف آلام ومجد المسيح. ورب سائل يسأل: "ولكن لماذا اقتبس هذه الآية ؟" ولماذا لم يقتبس آية من آيات النصرة في النهاية؟ فلماذا لم يقتبس مثلاً القول: "ياخائفي الرب سبحوه" (مزمور 22: 23) أو "لأن الملك للرب" (ع 28)؟ فهل نفكّر أن هذه الصيحة كانت نتيجة ضعف إنساني أو يأس بشري؟ أم أن ابن الله كان يتخيل هذه الأشياء؟ والأفضل أن نأخذ بوجهة نظرة المدققين، ونأخذ هذه الكلمات في معناها الذي تعلنه، فإن يسوع قد حمل خطايانا والله الذي "عنياه أطهر من أن تنظرا الشر ولا يستطيع النظر إلى الجور" أخفى وجهه (حبقوق 1: 13) فإن خطايانا فصلت بين الله الآب وبين الابن، وإن الرب يسوع الذي عاش وتمتع بالشركة الدائمة مع الآب طول أيام تجسده، تركه الآب ولو إلى لحظة أو بعبارة أخرى إن المسيح إذ حمل خطايانا، ذاق عذاب النفس الخاطئة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

البعيدة عن الله، ومات موتنا واحتمل القصاص عنا، إذ ابتعد عن الله الآب بسبب خطايانا نحن "وبذل نفسه فدية عن الجميع" (1تيموثاوس 2: 6).

وفي الحال انتقل من هذه الظلمة الخارجية إلى النصرة الحقة وصرخ قائلاً: "قد أكمل" ثم "يا أبتاه في يديك استودع روحي وأسلم الروح" (لوقا 23: 46، 19: 30) فقد أكمل العمل الذي من اجله جاء وأتم الخلاص الذي لأجله أتى، وحمل خطايا كل العالم وأصبحت المصالحة مع الله في متناول جميع الذين يسلمون نفوسهم لهذا المخلص ويتكلون عليه ويتخذونه مخلّصاً لهم، وكأني به – لكي يقدّم شهادة واضحة أمام عيون الملأ – قد مزقت يد الله غير المنظورة حجاب الهيكل، وطرحته جانباً، فلا حاجة إليه فيما بعد، وقد فُتح الطريق بين الله القدوس وبين الإنسان، وفَتح المسيح باب السماء أمام جميع المؤمنين.

ومن المدهش أن هذه القصة الخاصة بيسوع ابن الله الذين حمل خطايانا ليست محبوبة في عصرنا الحاضر، ويقال عن حملة خطايانا ورفعه قصاصها عنا، انه عمل غير عادل وغير أدبي وغير لائق – ويمكن تحويله إلى سخرية وهزء، ولا نقصد أن نقول بأن لا شيء قد ترك لنا لكي نعمله، وبالطبع ينبغي أن نرجع إلى "راعي نفوسنا وأسقفها" لنموت عن الخطية ونحيا للبر (1 بط 2: 24، 25) وفوق الكل يجب ألا ننسى "أن الكل من لله" نتيجة رحمته ونعمته المتفاضلة، فلم يفرض على المسيح قصاصاً، لم يكن هو نفسه مستعداً له، فإن الله "كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه" فكيف يمكن أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يكون الله في المسيح بينما جعل المسيح خطية لأجلنا؟ هذا ما لا أستطيع أن أجيب عنه ولكن الرسول عينه يضع هاتين الحقيقتين جنباً إلى جنب، وأنا اقبل الفكرة تماماً كما قبلت أن يسوع الناصري هو إنسان وإله في شخص واحد.. وإن كانت تبدو ظاهرياً على شيء من التناقض، لكني أراه في عمله كما أراه في شخصه.

وإن كنا لا نستطيع أن نحل هذا التناقض أو نفكّ رموز هذا السرّ، فينبغي أن نقبل الحق كما أعلنه المسيح وتلاميذه بأنه هو حمل خطايانا بمعنى أنه احتمل قصاص الخطية عنا، كما تعلمنا الكتب.. وهذا نفس ما قصده الرسول بطرس كما يتضح من ثلاثة اعتبارات:

(1) يقول أن المسيح حمل خطايانا على "خشبة" ... ويلوح أن هذه الكلمة استخدمت قصداً، كما استخدمها في مواعظه الأولى التي جاءت في سفر الأعمال، ونذكر على سبيل المثال ما جاء في أعمال 5: 30 "إله آبائنا أقام يسوع الذي أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة، وقد فهم أعضاء السنهدريم اليهود بأن هذا القول تضمن الإشارة إلى ما جاء في سفر التثنية 21: 23 حيث كتب: "ملعون كل من علّق على خشبة".. والحقيقة بأن يسوع ختم حياته معلّقاً على خشبة (وقد اعتبر اليهود التسمير على الصليب في مقام التعليق على خشبة تماماً) معناه أنه كان تحت اللعنة الإلهية، وبدلاً من أن يدحضه الرسل قبلوه، وأوضحه بولس في رسالته إلى أهل غلاطية بقوله "لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ليعمل فيه" (غلاطية 3: 10) ولكن المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب "ملعون كل مَن علق على خشبة" (غلاطية 3: 13) ويبدو معنى هذه الكلمات صراحة كما جاءت في القرينة، بأن اللعنة المنصبَّة على ناقضي الشريعة، قد انتقلت إلى يسوع فوق الصليب، الذي حرّرنا من اللعنة إذ حملها عنا ووضعها على نفسه حينما مات لأجلنا.

(2) إن هذا النص الذي ذكره بطرس في رسالته الأولى، قد تضمن ما لا يقل عن خمس أعداد مذكورة في أشعياء 53.. وهاكم هي:

1 بطرس 2	**أشعياء 53**
ع **22** : "الذي لم يفعل خطية ولم يوجد في فمه مكر"	ع **9** : "على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش"
ع **23** : "الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً"	ع **3** : "محتقر ومخذول من الناس"
ع **24** : "الذي حمل هو نفسه خطايانا"	ع **12** : "هو حمل خطية كثيرين وشفع بالمذنبين"
ع **24** : "بجلدته شفيتم"	ع **5** : "بجبره شفينا"
	ع **6** : "كلنا كغنم ضللنا"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ع25 : "لأنكم كنتم كخراف ضالة"

وقد رأينا فيما سلف أن الإصحاح الثالث والخمسين من سفر أشعياء يرسم لنا صورة للعبد المتألم البريء، الذي بموته الكفاري "جُرح لأجل معاصينا. ولا شك في أن يسوع نفسه، فسَّر رسالته وعمله في ضوء هذا الإصحاح، كما فعل تلاميذه أيضاً من بعده... وعندما سأل الخصي الحبشي فيلبس عمّن يشير إليه النبي في هذا الإصحاح في الحال فتح فيلبس فاه وابتدأ من هذا الكتاب وبشَّره بيسوع" (أعمال 8: 35).

(3) إن بطرس أشار إشارات أخرى في رسائله عن الصليب، مما يؤكد ويثبت تفسيرنا لكلماته في الإصحاح الثاني.. ففي الإصحاح الأول يصف قارئيه بالقول: "افتدوا.. بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس بدم المسيح" (1 بطرس 1: 18، 19) بينما يتكلم في العدد الثاني من الرسالة عن "رش دم يسوع المسيح" ويشير هذان التعبيران إلى ذبيحة الفصح وقت الخروج من مصر، وكان لزاماً على كل عائلة يهودية أن تقدّم حملاً مذبوحاً وترش دمه على العتبة والقائمتين في كل بيت، وبهذه الطريقة فقط نجوا من غضب الله ودينونته، كما نجوا من عبودية مصر، ويطبق الرسول بطرس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

خروف الفصح مع يسوع كما يفعل بولس أيضاً قائلاً: "لأن فصحنا أيضاً المسيح ذبح لأجلنا" (1كورنثوس 5: 7) وقد سفك المسيح دمه لكي يفدينا مـــن دينونـــة الله وعبودية الخطية، ويجب أن ترش قلوبنا. ويشير بطرس إشارة هامة رائعة إلى الصليب (3: 18) "فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من اجل الخطايا. البار من أجل الأثمـــة لكي يقربنا إلى الله" لقد فصلتنا الخطية وأبعدتنا عن الله، ولكن المسيح أراد أن يرجعنا ثانية إلى الله، ولهذا تألم بسبب خطايانا، مخلص بريء بار يموت من أجل الخطاة الفجار وقد مات مرة واحدة، وقد عمل (بتقديمه نفسه قرباناً مرة واحدة) ذبيحـــة كاملـــة مرضية.

وليس في الإمكان أبدع مما كان وما عمله المسيح، فلن يتحسن ولن يتكرر فلا يمكن لأعمال برنا، ولا لحفظ فرائضنا وطقوسنا الدينية أن تنيلنا الغفران، والواقع أن أية محاولة لطلب رضى الله عن طريق جهودنا وأعمالنا، تحقير بل إهانة ليسوع المسيح، لأن في مثل هذا العمل دساً وتضليلاً على أن لا لزوم لذبيحة المسيح وكفارته ويقول بولس: "إن كان بالناموس بر فالمسيح مات بلا سبب" (غلاطية 2: 21) وإن استطعنا أن نتمم خلاصنا فكفارة المسيح باطلة ولا لزوم لها. أما رسالة الصليب فستبقى قوية في يومنا هذا، كما كانت في أيام بولس حجر عثرة للبعض، وجهالة عند الآخرين .. ولكنها جاءت بسلام عميق إلى ضمير الملايين.. وقد كتب رتشارد هوكر في عظـــة ألقاها في عام 1585 ما يأتي: "فليحسبه البعض جهالة أو جنوناً أو ثورة غضب أو مهما كان... فإننا نحسبه حكمة وتعزية على ممر العصور والأجيال، ولا نجري وراء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

أي علم أو معرفة في الوجود سوى هذه: "إن الإنسان أخطأ ضد الله وإن الله تألم، وإن الله قد جعل نفسه خطية للبشر وجعل البشر بر الله".. ويستطيع كل مسيحي أن يردد هذه الكلمات فإن في جروح السيد شفاء، وفي موته حياة، وفي أوجاعه غفراناً، وفي آلامه خلاصاً.

أيها القدير، يا من بذلت ابنك الوحيد ليكون كفارة عن خطايانا، وقدوة ومثالاً لحياتنا الروحية، هبنا نعمة بها نقدر دائماً ونحن شاكرين، أن نقبل تلك البركات التي لا تحصى ولا تعد، وأن نسعى كل يوم أيضاً أن نتبع الخطوات المباركة في حياته القدسية باسم يسوع المسيح ربنا ومخلصنا. آمين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الفصل الثامن

روح المسيح وكنيسة المسيح

إنه لمن الخطأ الفاحش أن يظن أحد أن الخلاص بالمسيح معناه مجـرد تسـوية خطايانـا الماضية فقط، فإن المسيح يهتم بالحاضر والمستقبل اهتمامه بالماضي، فإن كان يضمن لنا غفران خطايانا ومصالحتنا مع الله، فإنه يستطيع أيضاً أن يتغلب علـى النتـائج الشـريرة الأخـرى للخطية.. فالخلاص كلمة جامعة مانعة، فهي لا تشمل فقط قبولنا لدى الله ولكن أيضاً تحريرنـا المتزايد من طغيان محبة الذات واسترداد علاقات الانسجام مع إخوتنا وزملائنا، وإننا لمـدينون بأولى هذه البركات إلى موت المسيح، ولكن بواسطة روحه القدوس نستطيع أن نتحـرر مـن أنفسنا، وبواسطة كنيسته يمكن أن نتحد في شركة المحبة. وسوف يقتصر حديثنا في هذا الفصل عن هذه الوجوه من الخلاص الذي أعدّه المسيح.

1- روح المسيح

رأينا فيما تقدم، أنه يجب ألا ننظر إلى خطايانا كسلسلة من الحوادث المبعثرة، ولكن كأعراض وعلامات لمرض أدبي داخلي وقد علّمنا السيد أن نوع الأثمار يتوقف على نوع الأشجار التي تحملها "وكل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة والشجرة الردية تصنع أثماراً ردية. لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة" (متى 7: 17، 18) من هذا نرى أن السبب الرئيسي لخطايانـا هـو خطيتنا، طبيعتنا الموروثة الفاسدة الذاتية، وقد دعا يسوع هذه الطبيعة "قلب" الإنسان وقال "من الداخل من قلب الناس تخرج الأفكار الشريرة، زنى فسق قتل سرقة طمـع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان" وقال أيضاً "من فضلة القلب يتكلم الفم... الإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور" (مرقس 7: 21 – 23، متى 12: 34، 35)

ومن هذا نلاحظ أن تصرفنا الخارجي أن هو إلا تعبير عن طبيعتنا الداخلية، ومن المعقول أن التحسين في السلوك يتوقف على التغيير في الطبيعة وقد قال يسوع: "اجعلوا الشجرة جيدة، وثمرها (يكون) جيداً" (متى 12: 33) ولكن هل من وسيلة لتغيير طبيعة الإنسان؟ وهل في الإمكان تغيير إنسان فظ إلى إنسان حلو المعشر والحديث؟ ومن متكبر إلى متواضع، ومن محب للذات إلى خدوم مضحي؟ ويعلن الكتاب المقدس مؤكّداً أنه يمكن حدوث مثل هذه المعجزات وعساه جزء من مجد الإنجيل، فإن يسوع المسيح مستعد لا أن يغيّر فقط موقفنا نحو الله ولكنه يغير طبيعتنا أيضاً، وقد تكلم عن ضرورة الولادة الجديدة التي لا يمكن الاستغناء عنها، ولا زالت كلماته التي خاطب بها نيقوديموس ترن في الآذان وهو يقول لكل واحد: "الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله .. لا تتعجب أني قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق" (يوحنا 3: 3، 7) وعسى الرسول بولس يكتب أحياناً بشكل تصويري أكثر وهو يقول: "إن كان أحد في المسيح يسوع فهو خليقة جديدة" (2 كورنثوس 5: 17) هذه هي الإمكانات التي يتحدث عنها العهد الجديد – ألا وهي قلب جديد – وطبيعة جديدة، ولادة جديدة وخليقة جديدة.. ويجب أن يطهر النبع أولاً، حتى يتطهر المجرى..

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

إن هذا التغيير الداخلي العظيم هو عمل الروح القدس، فالولادة الجديدة هي الولادة "من فوق" والولادة من فوق معناها أن "يولد من الروح" (يوحنا 3: 6) وليس من المناسب هنا، أن نبحث عقيدة الثالوث الغامضة.. ويكفينا للوصول إلى غايتنا الآن، أن نتأمل فيما كتبه الرسل الأولون عن الروح القدس، لأن تعاليمهم امتزجت بقدرتهم وحياتهم.

أولاً: من المهم أن ندرك بان الروح القدس لم يأت إلى حيز الوجود أو انه بدأ نشاطه وعمله يوم الخمسين فحسب، ولكنه هو الله وهو أزلي وأبدي، وكان في العالم يعمل منذ بدء الخليقة وقد أشار إليه العهد القديم مراراً، وكانت نفوس الأنبياء تصبو إلى العصر المسيحي بأنه الوقت الذي فيه يتزايد عمل الروح القدس ويمتد وقد تكلم حزقيال وأرميا بنوع خاص عن عمله مستقبلاً في شعب الله وقد جاء في نبوة حزقيال قول الرب: "وأعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديداً في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم وأجعل روحي داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي، وتعملون بها (حزقيال 36: 26، 27) هذه هي عطية القلب الجديد وهي مرتبطة تمام الارتباط بسكنى روح الله، الأمر الذي يصل بالإنسان إلى نتيجة طبيعية ألا وهي حياة الطاعة لشريعة الله ونلاحظ أن نبوة أرميا عن هذا العهد الجديد، تتضمن قولاً مشابهاً "وأجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم" (أرميا 31: 33) و لن يكون لشعب اللّه فيما بعد، حاجة إلى شريعة خارجية منقوشة على ألواح حجرية لا مندوحة لهم بطاعتها، ذلك لأن شريعة الله مكتوبة في قلوبهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بالروح القدس، الذي لا يكتفي بتعليمهم إياها فقط، بل يعطيهم قوة ليصيغوا حياهم ضمن مستلزماها.

وإن ما تنبأ به الأنبياء قديماً قبل مجيء المسيح بنحو سبعمائة سنة، وعد به المسيح أنه وشيك الحدوث، وقد اختلى مع تلاميذه الاثني عشر في العليّة قبل موته بساعات، وكلمهم عن "المعزّى" "روح الحق" المزمع أن يأتي ويحل محله... والواقع أن حضور الروح القدس خير لهم من حضوره الشخصي وهو على الأرض، وقال لهم: "خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. ولكن إن ذهبت أرسله لكم" وإن الامتياز في ذلك هو بأن المسيح كان معهم وبجانبهم، ولكن "روح الحق.. ماكث معكم ويكون فيكم" (يوحنا **16**: **7**، **14**: **17**) وبكل تقوى ووقار يمكن أن يقال، إن خدمة يسوع من ناحية تعاليمه قد أصابها بعض الفشل، وكم من مرة أقام ولداً في الوسط وأوصى تلاميذه أن يتواضعوا، ولكن سمعان بطرس ظل متكبراً ومعتداً بنفسه.. وقد علمهم أن يحبوا بعضهم بعضاً وقد سمى يوحنا باسم "ابن الرعد" عن جدارة، ولكن عندما يدرس القارىء رسالة بطرس الأولى، لا يفوته أن يلاحظ إشاراته عن التواضع، كما أن رسائل يوحنا ملآنة بالمحبة.. فما هو السبب في هذا الفرق؟ إنه الروح القدس.. وقد علمهم يسوع أن يكونوا متواضعين ومحبين، ولكنهم فشلوا في إظهار أي من الصفتين قبل أن يمتلكهم الروح القدس بشخصه، وقبل أن يغيّرهم في الداخل ففي يوم الخمسين "امتلأ الجميع من الروح القدس" ولا تظنوا أن ذلك كان اختباراً شاذاً أو غريباً على الرسل والقديسين، لأن الوصية الموجهة إلى جميع المسيحيين تقول: "امتلئوا بالروح" وما حلول الروح القدس في داخل الإنسان؛ إلا حق موروث لكل مسيحي حقيقي وفي الواقع، إن لم يكن الروح القدس، قد سكن في داخلنا، فهذا يعني أننا لم نبلغ بعد حد المسيحية الحقة وقد قال

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بولس: "إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له (أي للمسيح)" (انظر أعمال 2: 4، أفسس 5: 8، رومية 8: 9).

إذاً هذا هو تعليم العهد الجديد، فحينما نضع ثقتنا في يسوع المسيح، ونتكل عليه ونسلمه أنفسنا وذواتنا، يدخلنا الروح القدس، لأنه مرسَل من الله "إلى قلوبنا" ويجعل من أجسادنا "هياكل له" (غلاطية 6: 6، 1 كورنثوس 6: 19).

هذا لا يعني أننا من تلك اللحظة، غير معرّضين للسقوط في الخطيئة ولكن بالعكس، فإنه في بعض الحالات، تزداد المعركة شدة، ولكن من ناحية أخرى، ينفتح أمامنا باب النصرة، ويرسم لنا بولس الرسول في الإصحاح الخامس من رسالته إلى غلاطية، صورة حقيقية للمعركة، فالخصمان هما: "الجسد" وهو الاسم الذي يطلقه الرسول على الطبيعة الموروثة الفاسدة، ثم "الروح" ويقول: "إن الجسد يشتهي ضد الروح، والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر" (غلاطية 5: 17) وعسانا نلاحظ أن هذا ليس رأياً لاهوتياً فحسب، ولكنه اختبار يومي يجوزه كل مسيحي، فإننا نشعر باستمرار الشهوات الخاطئة، والملذات الردية، تجذبنا إلى الأسفل وفي نفس الوقت نلمس قوات معاكسة ترفعنا وتسمو بنا إلى القداسة ولو أطلق "للجسد" العنان، لقادنا إلى مهاوي الفساد والانحطاط والرذائل، التي يعددها بولس الرسول في الأعداد 19 – 21، ومن ناحية أُخرى، لو سمحنا للروح القدس، أن يشتق طريقه فينا، لأضحت النتيجة "محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف" (غلاطية 5: 22 – 23) ويسمي بولس أيضاً هذه الفضائل المغرية "أثمار الروح" ويشبه الخلق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

البشري ببستان حيث يقوم الروح القدس بالزراعة، فهل نسمح له أن يضع أشجاراً جيدة، تعطي أثماراً جيدة..

ولكن ما السبيل إلى قهر "الجسد" وأعماله الردية الشريرة حتى يمكن "لأثمار الروح" أن تنمو وتنضج؟! والجواب يتوقف على موقفنا الداخلي الذي نقفه من كل من الخصمين "فالذين هم مع المسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" "اسلكوا بالروح ولا تكملوا شهوة الجسد" (غلاطية 5: 24، 16).. وعلينا أن نتخذ موقف المعارضة العنيفة والقمع ضد الجسد، أي أن "نصلبه"، أما بشأن الروح، فيجب أن نعطيه السيادة المطلقة على حياتنا، وكلما عودنا أنفسنا على مقاومة الجسد، والخضوع للروح كلما تلاشت أعمال الجسد القبيحة، وازدادت أثمار الروح الجميلة.

ويعلّم الرسول بولس ذات الحقيقة في رسالته الثانية إلى كورنثوس (3: 18) حيث يقول: "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح".. لا يغيّرنا إلى صورة المسيح ومثاله، سوى روح المسيح إذا ثبتنا وجهنا نحوه، ولذلك يظهر دورنا الذي يجب أن نقوم به وهو التوبة والإيمان وضبط النفس، أما القداسة فهي من عمل الروح القدس..

كل بر نملكه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وكل نصر أحرزناه

وكل تفكير مقدس

كلها منه، دون سواه

***

يا روح الطهر والنعمة

انظر لضعفنا متعطفاً

واجعل قلوبنا لك مسكناً

يليق بك، أيها الإله

اعتاد رئيس الأساقفة "وليم تمبل" أن يوضح هذا الدرس، على النحو التالي: "لا فائدة أن تعطيني رواية تمثيلية مثل رواية هملت أو الملك لير، وتكلّفني أن أكتب رواية مثلها.. لأن شكسبير وحده هو الذي استطاع أن يؤلفها، كما لا فائدة أن تريني حياة مثل حياة يسوع، وتطلب مني أن أحيا حياة مثلها، لأن يسوع وحده استطاع أن يحياها.. أما أنا فلا أستطيع، ولكن لو انتقل إليّ نبوغ شكسبير وعبقريته، وسكن فيّ، لأمكنني أن أكتب روايات مثل هذه " ولو جاء روح يسوع وسكن فيّ، أمكنني أن أحيا حياة مثله" هذا هو سر القداسة المسيحية، فليس الأمر مجرد محاولة لكي نحيا مثل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يسوع، بل ان يسوع يأتي بروحه ويحيا فينا، فلا يكفي أن نتخذه مثالاً لنا، ولكننا نحتاجه مخلّصاً لنا، وإنه عن طريق موته الكفاري فقط، يمكن أن ننجو من قصاص الخطية، بينما تكسر حدة خطايانا وقوتها، بواسطة روحه الساكن فينا.

2- كنيسة المسيح

من خصائص الخطية، أنها تولّد في الإنسان ميلاً للابتعاد عن المركز الأصلي، وتخرج الناس من دائرة الانسجام مع رفاقهم وتبعدهم لا عن خالقهم فحسب، بل أيضاً عن زملائهم وأقرانهم وقد علمنا الاختبار كيف يصبح المجتمع، مدرسة كانت أم مستشفى أم مصنعاً أم مكتباً، كيف تصبح مرتعاً للتنافس والتناحر، ونجده من الصعب "أن يسكن الإخوة معاً".

إن قصد الله – كان ولا يزال – أن يقوّض كل نتائج الخطية الوخيمة، وذلك في المسيح وفكره إذاً، لا أن يدعو أفراداً مشتتين ومستقلين أن يرجعوا إليه، كل بمعزل عن الآخر، ولكن لكي يفدي شعباً خاصاً، شعب اقتناء.

ونرى ذلك واضحاً في الإصحاحات الأولى من سفر التكوين فقد دعا الله إبراهيم، لكي يترك عشيرته وبيت أبيه فيما بين النهرين ووعده، ليس فقط، أن يعطيه أرضاً ميراثاً له، ولكن وعده بنسل لا يعد، مثل نجوم السماء ورمل البحر، وقد تجدد هذا العهد، بإكثار النسل الذي به تتبارك جميع قبائل الأرض، إلى اسحق ابنه، ويعقوب حفيده.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

مات يعقوب غريباً في أرض مصر بعدما ذهب مع بنيه إليها، لما حدث جوع في أرض كنعان، وقد خلفه أولاده الاثنا عشر وصار آب الأسباط وقد جدد الله عهده مع البقية الباقية، بعد رجوعهم من العبودية في مصر.

ولكن كيف تتبارك جميع قبائل الأرض؟

مضى قرن بعد قرن، وقد برهنت الأيام، أن هذا الشعب كان أكثر لعنة في العالم مما كان بركة.. وقد أحاط الشعب نفسه، بأسوار مرتفعة من صنعه، رغبة منه في حماية نفسه من الاختلاط بالشعوب الأخرى من الأمم النجسين، ولاح أمام أعينهم، كأنهم أخطأوا الهدف ولن يصلوا إلى أن يكونوا بركة للشعوب الأخرى، فهل كان وعد الله لإبراهيم كذباً؟ كلا! بل إن كثيرين من الأنبياء عرفوا بواسطة كلمة الرب أنه لما جاء المسيح، الممسوح من الله "سيأتي شعوب من كل زوايا الأرض لكي يدخلوا ملكوت الله.

وأخيراً جاء المسيح.. وأعلن يسوع الناصري أن الملكوت العتيد قد قرب، وقال أن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون في حضن إبراهيم، ولن يظل شعب الله شعباً معتزلاً، ولكن شعب يجتمع كل أفراده من كل قبيلة وأمة ولسان.. وقد أمر الرب المقام أتباعه قائلاً: "اذهبوا .. وتلمذوا جميع الأمم" (متى 28: 19) وقد دعا يسوع هؤلاء التلاميذ "كنيستي" (متى 16: 18) وبذا نرى أن عهد الله لإبراهيم، تكرر عدة مرات له، وتجدد مع بنيه، وقد تم فعلاً في نمو وامتداد الكنيسة اليوم، في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

جميع أنحاء العالم، وقد كتب الرسول بولس: "فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة" (غلاطية 3: 29).

بين أروع الصور التي استخدمها الرسول للتعبير عن الوحدة بين المؤمنين، التشبيه بالجسم البشري، ويقول أن الكنيسة هي جسد المسيح.. وكل مسيحي هو عضو في الجسد، بينما المسيح وحده هو الرأس الذي يضبط كل أعمال الجسد ونشاطه، ولا يقوم عضو بنفس العمل الذي يقوم به عضو آخر، ولكن كل عضو ضروري لحفظ سلامة الجسد وكماله.. وزد على ذلك فإن لكل الجسد، حياة واحدة مشتركة، هذا هو الروح القدس، فإن حضوره يجعل الجسد واحداً، وتدين الكنيسة له بوحدتها وارتباطها، ويؤكد الرسول بولس القول: "جسد واحد وروح واحد" (أفسس 4: 4) حتى ان كل نظم ونشاط الكنيسة الخارجية، لا تؤثر على وحدتها الروحية الداخلية التي لا تنفصم عراها، هذه هي "وحدانية الروح" أو "شركة الروح" (أفسس 4: 3، فيلبي 2: 1، كورنثوس 13: 14) وإن نصيبنا معه يجعلنا دائماً واحداً. إن هذه الوحدة الروحية، التي خلقها وصنعها الروح الواحد، أُطلق عليها في بعض الأحيان اسم: "الكنيسة الغير المنظورة" ذلك لأن أعضاءها لا تراهم العين، فإنها مجتمع لجميع المؤمنين الحقيقيين أو كما يقول عنها كتاب الصلاة العامة: "الشركة المباركة لجميع المؤمنين"، وينتمي إليها كل مسيحي حقيقي، مهما كان جنسه أو مركزه الاجتماعي أو عقيدته الكنسية، فإن كان ضمن خاصة المسيح فإنه خاصة الكنيسة أيضاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وفي نفس الوقت، لا يمكن أن نكتفي بعضوية هيئة غير منظورة أو ملموسة.. لأن الكنيسة العامة غير المنظورة، مظاهرها العلنية المنظورة محلياً، ويجب أن ينتمي لإحداها كل مسيحي، حيث يعبد ويتمتع بالشركة، ويجد الفرص سانحة للخدمة، وسوف تبرهن على أنها جماعة من النساء والرجال، الخطاة الأثمة، ولذلك يجب عليه ألا يهجر بلك الجماعة لهذا السبب، لأنه هو نفسه خاطىء أثيم.. وسيدرك أن ليس جميع أعضائها، هم أعضاء حتماً في كنيسة يسوع المسيح غير المنظورة، فإن بعض الذين كتبت أسماؤهم في سجلات الكنيسة لم تكتب أسماؤهم في سفر حياة الخروف ولكن ليس للشخص نفسه أن يحكم "بل يعلم الرب الذين هم له" (2 تيموثاوس 2: 19) فإن الراعي يقبل للعضوية - عن طريقة المعمودية – أولئك الذين يعترفون بإيمانهم، ولكن الرب يرى القلب فلا ينظر إلى الذين يعترفون بإيمانهم بشفاههم بل إلى مَن يمارس إيمانه في قلب واثق، ومثل هذا المؤمن مولود ولادة ثانية بالروح القدس، ويصبح عضواً في كنيسة المسيح، الكنيسة الجامعة الغير المنظورة.. يا للأسف! لأن بعض الذين تعمدوا حسب الظاهر ثم انضموا إلى عضوية الكنيسة المنظورة، لم يولدوا من فوق، و لم يقبلهم المسيح نفسه.

ليس الروح القدس هو مصدر حياة الكنيسة العامة فحسب، لكنه خالق محبتها المشتركة أيضاً، فإن المحبة هي باكورة أثمار الروح وإن طبيعته في المحبة، ويضعها في قلوب الذين يحل فيهم، لقد عرف جميع المسيحيين، الاختبار العجيب في جذبهم إلى غيرهم من المسيحيين، الذين لم تسبق لهم بهم معرفة، والذين نشأوا نشأة مختلفة، وإن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

العلاقة القائمة بين أولاد الله والتي تنمو وتتزايد، لهي أعمق وأوضح وأبقى من قرابة الدم، إنها قرابة عشيرة الله، وحقاً "نحن نعلم أننا انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الأخوة" (1 يوحنا 2: 14) وهي ليست محبة عاطفية أو وليدة المشاعر والإحساس ولكن جوهرها الإيثار وإنكار النفس وتضحية الذات، وتظهر ذاتها في الرغبة للخدمة والمساعدة وإسعاد الآخرين، ويستطيع المؤمن أن يقاوم قوة الخطية التي تبعدنا عن بعضنا البعض، لأن الخطية تسبب الانقسام، بينما المحبة تجمع وتوحّد. الخطية تفصل وتبعد، حيث المحبة تصالح وتقرّب.

ومن البديهي، أن صفحات تاريخ الكنيسة قد لطخت بنقط قبيحة سوداء، وقد تميزت كنيسة يسوع المسيح المنظورة بالحياة والمحبة.. والمسيحيون، رغم أنهم مفديون، بعيدون عن حياة الكمال، كما أن بعض الكنائس تبدو ميتة – أو كادت أن تموت – أكثر مما تظهر حية قوية، وبعضها ممزَّق بسبب الانقسام والأحزاب وفقدان المحبة، بقي علينا أن نقرر بأنه ليس جميع الذين يعترفون ويدعون اسمهم مسيحيين، يظهرون عملياً محبة أو حياة يسوع المسيح فيهم.

وبالرغم من كل هذا، فإن مركز المسيحي بين الجماعة المسيحية – مهما كان ضعيفاً أو ناقصاً – هو أن ينضم مع إخوته في شركة متبادلة، وفي عبادة الله، وفي الشهادة ليسوع المسيح في عالم أوسع.

رابعاً: استجابة الإنسان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الفصل التاسع

حساب النفقة

لقد بحثنا فيما سبق بعض البراهين والأدلة على لاهوت يسوع الناصري، كما رأينا خاصة الإنسان الماسة كخاطىء، وغريب عن الله، وعبد لنفسه وأنانيته، غير منسجم أو متفق مع أقرانه ورفاقه، كما لخصنا وجوه الخلاص الرئيسية، الخلاص الذي أعده لنا المسيح، وأعطاه لنا.. وخليق بنا بعد ذلك، أن نقدّم نفس السؤال الشخصي، الذي سأله شاول الطرسوسي ليسوع المسيح، وهو في طريقه إلى دمشق قائلاً: "يا رب ماذا تريد أن أفعل؟" أو ذات السؤال الذي سأله حافظ السجن في فيلبي: "ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟" (أعمال 22: 10، 16: 30) ومن الواضح، أنه يجب أن نعمل شيئاً، فالمسيحية ليست مجرد تسليم سلبي، ولا مجموعة من النظم أو الاقتراحات، نقبلها على علاتها، مهما بلغت صحتها.. جميل أن نؤمن بلاهوت وخلاص المسيح، ونعترف بأننا خطاة، في حاجة ماسة إلى خلاصه، ومع ذلك فإن هذه لن تصيّرنا مسيحيين.. وعلينا واجب شخصي عملي، وهو موقفنا نحن إزاء يسوع المسيح، واستجابتنا له معطين له أنفسنا، مخلصاً وربّاً، بدون تحفظ.. وسوف نتناول كيفية إتمام هذه الخطوة في الفصل التالي، على أن نركز اهتمامنا في هذا الفصل، على بعض مشتملاتها العملية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لم يخفِ يسوع الحقيقة القائلة بأن في دينه طلباً كما فيه عرض، وفي الواقع أن الطلب مكلف، بينما العرض سخن، ومع أنه أعطى البشرية خلاصه، إلا أنه طلب منهم خضوعاً وتسليماً.. و لم يقدّم أي نوع من التشجيعات أو المغريات، للذين طلبوا أن يتبعوه ويصيروا له تلاميذ، كما أنه لم يجبر أحداً أو يضغط على أحد ممن اتصلوا به، وصرف الغيورين المتحمسين اسماً، من اللا مبالين، فارغين.. ويحدثنا لوقا عن ثلاثة رجال ممن تطوعوا من تلقاء أنفسهم وجاءوا لكي يتبعوا يسوع.. ولكن ما من واحد منهم، جاز امتحان الرب (لوقا 9: 57 – 62) وهاكم الشاب الغني أيضاً، وكان مثال الأدب والغيرة والجاذبية، وقد جاء يطلب الحياة الأبدية، بحسب الشروط التي وضعها هو، لكنه مضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة، بقيت له.. ولكن بدون حياة أبدية، وبدون مسيح.

وحدث مرة أن تبعته جموع كثيرة، ومَن يدري ربما كانوا يهتفون للسيد، منادين بحبهم وولائهم لشخصه، في شكل ظاهر سطحياً أما المسيح الذي عرف ما كان في قلوبهم وأفكارهم، عرف كم كان تعلقهم به واهياً ضعيفاً.. فوقف والتفت نحوهم وخاطبهم بمثل صريح واضح، في صفة سؤال قائلاً: "مَن منكم وهو يريد أن يبني برجاً لا يجلس أولاً ويحسب النفقة هل عنده ما يلزم لكماله لئلا يضع الأساس ولا يقدر أن يكمل فيبتدئ جميع الناظرين يهزأون به قائلين: هذا الإنسان ابتدأ يبني و لم يقدر أن يكمّل" (لوقا 14: 25- 30).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وألسنا نرى الميادين المسيحية وقد امتلأت بالأبراج المهملة الخربة، التي لم تتم بعد، خرائب أولئك الذين بدأوا ولم يقدروا أن يكملوا.. وهناك آلاف من النـــاس، رجالاً ونساء، يطلبون كل سنة أن يتبعوا المسيح، دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة إلقاء نظرة على حساب النفقة والنتيجة طبيعية، فقد وصلت المسيحية إلى أكبر مهزلة اسمها "المسيحية بالاسم". وفي الأقطار التي انتشرت فيها المسيحية يحاول عدد كـــبير مـــن الناس، أن يغطوا أنفسهم بقشرة جميلة، لكنها قشرة خفيفة مزيفة من المسيحية.. وقد سمحوا لأنفسهم أن يندمجوا فيها قليلاً، ليكونوا موضع احتـــرام، دون أن يتحملـــوا مسؤولية أو مشقة، إذ يحسبون دينهم، وسادة ناعمة، تحميهم من مكدرات الحيـــاة وقسوتها، وهم يغيّرون مكانها وشكلها، لتلائم أهواءهم، فلا غرابة أن نرى المتهكمين الساخرين يتحدثون عن المرائين في الكنيسة، وقد صرفوا النظر عن الدين، كمخرج من الحقيقة.

وقد اختلفت رسالة يسوع كل الاختلاف، فما حاول أن يحقّر المقاييس الـــتي وضعها، أو يملي شروطه التي فرضها لقبول دعوته، وقد طلب من تلاميذه الأولـــين، كما طلب من تلميذ آخر فيما بعد، أن يضعوا أنفسهم عن – تفكير ورويّة – بـــين يديه مسلّمين له الكل..

وقد بلغنا الآن درجة، معها يمكننا أن نبحث بدقة ما قاله "ودعا الجمع مـــع تلاميذه وقال لهم من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. فإن من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

أراد أن يخلص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه. لأن من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطي فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين" (مرقس 8: 34 – 38).

1- الدعوى لإتباع المسيح

كانت دعوة المسيح غاية في البساطة وهي "اتبعني"، وقد طلب من الجميع – نساء ورجالاً – ولاءهم الشخصي، ودعاهم أن يتعلموا منه وأن يطيعوا كلامه، وأن يلموا بدعواه وحركته.

ولكن لا أتباع، بدون ترك شيء آخر، وأتباع المسيح معناه التنكر لكل عهود الولاء التي تقل قيمة، وقد قصد به يسوع حرفياً لما كان على الأرض بيننا، ترك البيت والعمل، فقد ترك سمعان وأندراوس شباكهما وتبعاه، أما يعقوب ويوحنا "فتركا زبدي مع الاجرى وذهبا وراءه". وها متى لما سمع دعوة المسيح عندما كان جالساً في مكان الجباية.. "ترك كل شيء وقام وتبعه" (مرقس 1: 16 – 20، لوقا 5: 27 – 28).

ومن حيث المبدأ، فإنه لم تتغير دعوة الرب يسوع حتى اليوم فلا يزال يقول "اتبعني" ويضيف أيضاً: "فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لوقا 14: 37) وإن أغلبية المسيحيين لا يمارسون عملياً هذا القول

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بمعنى الترك الفعلي المادي، والتخلي عن بيوتهم وأعمالهم، ولو أنه يتضمن تسليماً داخلياً – للبيت والعمل – مع تصميم تام بعدم السماح للعلاقات العائلية أو المطامع الدنيوية، أن تحتل المقام الأول في قلوبنا.

واسمحوا لي أن أتكلم بأكثر صراحة ووضوح عن الترك الذي لا يمكن أن تفصله عن أتباع يسوع المسيح.

أولاً: يجب ترك الخطية :

وبعبارة أخرى هذا ما نسميه: "التوبة" وهو الجزء الأول من التجديد أو التغيير المسيحي، ولا يمكن التغاضي عنه بتاتاً، فالتوبة والإيمان يسيران جنباً إلى جنب، فلن نستطيع أن نتبع يسوع دون أن نترك الخطية.. وزد على ذلك فإن التوبة هي رجوع أكيد عن كل تفكير أو كلام أو عمل أو عادة خاطئة.. فلا نكتفي بالشعور بوخزات الضمير أو طلب الغفران من الله، وإنما في الأساس، التوبة أمر لا علاقة له بالعاطفة ولا بالكلام ولكنها تغيير داخلي في الفكر والموقف إزاء الخطيئة، يقودنا إلى التغير في التصرف والسلوك، ولا مجال للتساهل و المساومة هنا، فقد توجد في حياتنا خطايا، نظن لا يمكن التخلي عنها أو تركها أبداً، ولكن ينبغي أن نكون مستعدين لتركها، ونحن نصرخ إلى الله طالبين النجاة و الخلاص منها، فإن كنت في ريب عما هو صواب وعما هو خطأ ، وما يجب أن نتركه، و ما يلزمنا إبقاؤه. فلا تتقيد كثيراً بمعتقدات.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

و عادات رفاقك المسيحيين، بل اتبع تعليم الكتاب المقدس الواضح، و اسمع صوت ضميرك و بالطبع سيقودك المسيح في طريق البر، وإذا طلب منك أن تتخلى عن أي شي، اتركه في الحال، وقد يكون هذا الشيء، صداقة أو تسلية أو نوعاً من الكتب التي تقرؤها أو موقف كبرياء أو حسد أو كره أو روح عدم التسامح.. كن حازماً في موقفك، وتذكّر ما علّم به المسيح قائلاً: "إن أعثرتك عينك فاقلعها.. وإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها".

وقد تتضمن التوبة أحياناً، التعويض أو رد المسلوب، ذلك لأن بعض خطايانا تؤثر على غيرنا من الناس، كما تؤثر على الله، فإن كل خطايانا تجرح الله، لا شيء مما نعمل، يمكن أن يشفي الجرح ولكن موت مخلصنا يسوع المسيح الكفاري فقط يستطيع هذا وفي حال ما إذا كانت خطايانا قد ألحقت أذى بآخرين، يمكننا أن نساعد في إصلاح الضرر، وحيث نقدر، يجب أن نفعل، وهاكم زكا رئيس العشارين، قد ردّ أكثر من الأموال التي سرقها من الناس، ثم وعد أن يعطي نصف ماله للمساكين، حتى يعوض عن السرقات التي ارتكبها، و لم يرجعها.. وجدير بنا أن نتبع مثاله، فقد نكون مدينين بمال أو وقت، أو إشاعات نشرناها أو مقتنيات أخذناها و لم نرجعها، أو اعتذارات أو علاقات محطمة تحتاج إلى إصلاح. ولا أظنه مرضياً أمام الله، أن نسرف في الهواجس والوساوس بهذا الشأن، ونضيع وقتاً في البحث عن أخطاء تافهة في السنين الماضية، لنعتذر عنها الآن، أو عن هفوات وإساءات ضد أناس نسوها، لكن المقصود أنه يجب أن نكون عمليين في هذا الواجب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

أعرف طالبة اعترفت أمام مجلس إدارة الجامعة بأنها "غشّت" في أحد الامتحانات، وآخر أعاد كتباً كان قد أخذها سراً من مكتبة، وضابطاً في الجيش، أرسل إلى مركز قيادته، لائحة من الأشياء التي احتال وأخذها بطريقة غير قانونية، إذا ندمنا وتبنا ينبغي أن نفعل كل شيء لإصلاح كل خطأ وخلل في الماضي، ولن نستطيع أن نستمر نستمتع بأثمار الخطية، التي نطلب غفراناً من أجلها

ثانياً: يجب ترك النفس وإنكارها:

رغبة منا في إتباع المسيح، يجب ألا نترك الخطايا فقط بل يجب أن نتخلى عن مبدأ الأنانية – أنا – التي تكمن في جذور جميع أعمال الخطية، إن إتباع المسيح معناه تسليمه كل الحق للإشراف على حياتنا الخاصة، متنازلين عن عرش قلوبنا، واضعين الصولجان في يده وتاجنا فوق رأسه، ونتوجه ملكاً لنا، وترك النفس هذا هو ما وصفه يسوع في ثلاث عبارات:

1ـ إنكار النفس: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه" والكلمة "ينكر" هي عينها التي ذكرت في إنكار بطرس للرب، في بيت رئيس الكهنة وقت المحاكمة.. يجب أن نتنكر لأنفسنا كما تنكر بطرس لسيده، وأنكره قائلاً: "أنا لا أعرف الرجل"، إنكار النفس لا يعني حرمان النفس من أي شيء، بل حرمان النفس من النفس، أي أن تقول "لا" للنفس و "نعم" للمسيح، أن ترفض النفس وتنكرها، وتعترف بالمسيح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

2ـــ والعبارة الثانية هي "ويحمل صليبه" "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكــر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني".. لو عشنا في فلسطين، في أيام السيد المسيح، ورأينــا إنساناً يحمل الصليب لعرفناه في الحال، سجيناً يقاد إلى مكان الإعدام والموت.. ولعل ما قاله الأستاذ "هـــ . ب . سويت"، في تفسيره لإنجيل مرقس عن "حمل الصليب" يلقي ضوءاً لا.. فقد قال: "حمل الصليب معناه أن يضع الإنسان نفسه مكان إنسان مدان، في طريقه إلى الإعدام" فالموقف الذي يجب أن نقفه هو أن نصــلب الــنفس ويستخدم الرسول بولس نفس التشبيه المجازي عندما يقول: "ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غلاطية 5: 24).

وجدير بالذكر أن لوقا يضيف إلى هذه الآية كلمة "كل يوم" بمعنى أنه يجــب على المسيحي أن يموت كل يوم، إذ يتنكر لنفسه، ويتنكر لسيادة إرادته النفسانية، وأن يجدد عهد خضوعه وتسليمه ليسوع المسيح، تسليماً بدون قيد ولا شرط.

3ـــ إن العبارة الثالثة التي استخدمها يسوع لإنكار النفس هــي أن "يهلــك نفسه" "من يهلك نفسه .. يخلصها" والكلمة المترجمة "نفس" هنا لا تعــني الكيــان الجسدي الطبيعي، كما لا تعني أرواحنا لكنها تعني ذاتنا.. "أنا" وهــي الشخصــية الإنسانية التي تفكر وتشعر وتخطط وتختار، وفي تعبير مشابه ذكره لوقا، نرى يسوع يستخدم الضمير الشخصي ويتكلم عن الغني الغبي الذي خسر نفسه. إذاً فالإنســان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الذي يسلّم نفسه للمسيح، هو الذي يهلك نفسه، ليس بذوبان شخصيته بل بإخضاع إرادته لإرادة المسيح سيده.

لكي نتبع المسيح، يجب أن ننكر نفوسنا، أن نصلبها، أن نهلكها، وها يسوع يضع طلبه مكشوفاً صريحاً، فإنه لا يدعونا لنخضع خضوعاً غير كامل، ولكن يدعونا إلى تسليم تام مطلق وأن نجعله رباً. ومن الغرابة بمكان في عصرنا الحاضر، أن البعض يدّعي بأننا نستطيع أن نتمتع بفوائد خلاص المسيح، بدون أن نقبله رباً لنا، إن مثل هذا الرأي، لا وجود له في العهد الجديد إن العبارة "يسوع رب" كانت أقدم قانون إيمان، عرفه المسيحيون وفي الأيام التي فرضت فيها الإمبراطورية الرومانية، على رعاياها أن يقولوا: "القيصر رب" كانت لهذه العبارة خطورتها، أما المسيحيون فلم يرتعبوا أو يتراجعوا، وما كان بإمكانهم أن يعطوا قيصر، المكان الأول في قلوبهم وولائهم، لأنهم كانوا يخدمون الإمبراطور يسوع.. "فوق كل رياسة وسلطان وأعطاه اسماً فوق كل اسم.. لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة.. ويعترف كل لسان، أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فيلبي 2: 10، 11).

أن نجعل المسيح ملكاً معناه أن نضع كل ما في حياتنا الخاصة والعامة، تحت سلطانه، وهذا يشمل عملنا ومستقبلنا. لله قصد وغاية لكل حياة، إذاً فليكن شغلنا الشاغل أن نكتشف هذا القصد ونحققه، وقد يختلف قصد الله فينا، عما قصدناه لأنفسنا أو قصده لنا والدونا، وإن كان المسيحي عاقلاً وحكيماً حقاً، فلن يفعل شيئاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

عن طياشة أو تهور، سواء أكان في العمل الذي أعدّه الله له، أم الذي أعدّه هو لنفسه له.. وإن كنا قد أخذنا المسيح فعلاً رباً لنا، فينبغي أن يكون لنا الاستعداد لما يجريه في مجرى حياتنا من تغيير، فقد يدعونا للخدمة هنا، أو في حقل أجنبي لذلك وجب أن نكون على استعداد للقبول والطاعة، ولكن لا تتسرع في اكتشاف إرادته، وإنما إذا استسلمت لها، وطلبت من الله، منتظراً أن يكشفها لك، فتأكد أنه سيفعل ذلك في وقته المناسب، ومهما يكن الأمر، فلن يمكن أن يجلس المسيحي عاطلاً بليداً، سواء أكان رب عمل أم عاملاً أم حراً، لأن له سيداً في السماء، وقد تعلّم كيف يرى قصد الله في عمله، فيعمله من كل القلب.. "كما للرب وليس للناس" (كولوسي 3: 23).

ولعل دائرة أخرى من حياتنا، تدخل تحت سيادة يسوع المسيح، وهي بيتنا وحياتنا الزوجية، وقال يسوع مرة: "لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً" (متى 10: 34) ومن ثم تابع السيد حديثه، عما يحدث في البيوت من تصادم في الإخلاص والولاء، حينما يتبعه أحد أفراد العائلة.. وفي وقتنا الحاضر، نجد مثل هذه المنازعات العائلية وعلى المسيحي أن يبذل قصارى جهده لتجنبها، لأن لديه واجباً مقدساً خاصاً، ألا وهو أن يحب والديه وباقي أفراد العائلة، ويلزمه أن يسعى للسلام، ويذعن لإرضاء الجميع، بشرط ألا يتساهل أو يساوم في واجبه نحو الله، ومع ذلك فلن يستطيع أن ينسى قول المسيح: "من أحب أباً أو أماً.. أو ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني" (متى 10: 37) فضلاً عن ذلك فإن للمسيحي الحريّة أن يتزوج فقط بمسيحية، والكتاب صريح في هذه الناحية فيقول الرسول بولس:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

"لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين. لأنه أية خلطة للبر والإثم، وأية شركة للنور مع الظلمة" (كورنثوس 6: 14) وقد تسبب هذه الوصية تنغيصاً لشخص ما، سبق وخطب، أو على وشك الخطبة، ولكن يجب أن نواجه الواقع بأمانة، فالزواج هو أعمق علاقة بشرية ممكنة، رسمها الله لتكون اتحاداً وثيقاً، لا جسدياً ولا عاطفياً ولا ثقافياً ولا اجتماعياً بل روحياً، فإذا أقدم المسيحي، رجلاً كان أم امرأة، على الزواج بشخص لا يمكن أن يتحد معه روحياً، فإنه لا يعصي الله فحسب، ولكنه يخسر روعة وجمال قصده، والحق يقال، إن التغيير المسيحي الحقيقي، هو تغيير جوهري، يشمل تغيير موقفنا كله من ناحية الزواج، بل تغيير الغريزة الجنسية، وبدلاً من أن تكون دنيئة منحطة، بسبب كونها أنانية في أساسها وحافزها، تصبح شيئاً حلواً وجميلاً، لأنها مقدّسة في أصلها.

وهناك أشياء أخرى خاصة بنا، يلزم أن تخضع لسيادة يسوع المسيح وسلطانه، إذا سلمنا حياتنا له، ألا وهي المال والوقت.. وقد تكلم المسيح كثيراً عن المال وعن خطر الغنى، حتى أن الكثير من تعاليمه بهذا الشأن يبدو مقلقاً، ونرى المسيح أحياناً كما لو كان يوصي تلاميذه، بتحويل ما عندهم من الممتلكات والمقتنيات إلى نقود وأموال، لتوزيعها كلها على الفقراء، وإنه – بدون جدال – يفعل هذا عينه في وقتنا الحاضر، ويدعو أتباعه لهذا العمل نفسه ولكن الأغلب أن وصيته موجهة إلى قلوبهم وداخلهم، حتى لا يضعوا رجاءهم على يقينية الغنى، لأن تعاليمه لم تكن حرفية، كما أن العهد الجديد لم يذكر أن المقتنيات خاطئة في ذاتها، ولكن المقصود هو أننا نضع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

المسيح أولاً قبل وفوق المادة والثروة. كما نضعه قبل الروابط العائلية.. فإننا لا نقدر أن نخدم الله والمال.. وزد على ذلك فقد قصد أن نكون حريصين ونصرف أموالنا بسخاء وبضمير حي.. لأن المال الذي في أيدينا، ليس لنا، لكنه لله، وما نحن إلا مجرد وكلاء عن الله.. فالسؤال الذي يتبادر إلى ذهننا، ليس "كم أُعطي للرب من مالي؟" بل "كم من مال الرب يجب أن أحتفظ به لنفسي؟" ولعل الوقت، مشكلة كل إنسان هذه الأيام! ويجب على المسيحي المتجدد أن يعيد ترتيب قائمة أفضلياته في الحياة فإذا كان طالباً، فإن الدراسة ستكون في رأس قائمة الأعمال ولئن كان المسيحي يُعرّف عادة، بالاجتهاد والأمانة في العمل ولكن عليه أن يعطي وقتاً، في برنامجه المزدحم، للصلاة اليومية ودرس الكتاب المقدس.. ولتكريس يوم الأحد للرب، يوم عبادة وراحة، للشركة مع المسيحيين الآخرين، ولقراءة كتب دينية أو للقيام بخدمة مسيحية في الكنيسة أو المجتمع.

إن كل هذه الأشياء تدخل في الحساب، إذا تركنا خطايانا وأنكرنا أنفسنا واتبعنا المسيح.

2. الدعوة للاعتراف بالمسيح

قال المسيح: " من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ، فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين"، "فكل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السموات، ولكن من ينكرني قدام

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات" (مرقس 8: 38، متى 10: 32، 33) فالأمر الموجه إلينا، ليس أن نتبع المسيح سراً بل أن نعترف به جهراً وعلناً، فلا يكفي أن ننكر نفوسنا سراً إذا ما أنكرناه علناً..

إن الحقيقة الواقعة بأن يسوع أوصانا ألا نستحي به قدام الناس، دليل قاطع على علمه السابق بأننا سنحاول أن نستحي به، وفي إضافته هذه العبارة القائلة: "هذا الجيل الفاسق الخاطىء" يتبين أنه عرف ما سنلاقيه من صعاب في هذا السبيل.. ومن الواضح أن يسوع رأى بثاقب نظره، أن كنيسته سوف تكون أقلية ضئيلة في العالم، ويتطلب الوقوف إلى جانب الأقلية، ومعارضة الأكثرية شجاعة وجرأة، لا سيما إذا كانت الأقلية غير محبوبة أو مقبولة.

أجل! إن الاعتراف العلني بالمسيح ضرورة لا بد منها، وصفه بولس بأنه شرط من شروط الخلاص، فقد كتب أنه لكي ننال الخلاص، ليس علينا فقط أن نؤمن بقلوبنا، بل أن نعترف بشفاهنا أن يسوع رب: "لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر، والفم يعترف به للخلاص" (رومية 10: 9، 10) وربما كان الرسول يشير إلى المعمودية، وبالتأكيد كان لا بد للمتجدد، أن يتعمد أولاً، حتى أنه – جزئياً – يحصل بواسطة استعمال الماء على علامة وختم تطهيره الداخلي، وأيضاً لكي يعترف علناً بأنه آمن بيسوع المسيح، واتخذه مخلصاً له ورباً، ولكن اعتراف المسيحي الصريح لا يقف

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

عند حد المعمودية، وإنما يجب أن يكون مستعداً، أن يعرّف عائلته وأصحابه بأنه مسيحي، وذلك بالحياة التي يحياها أي بالأعمال ثم بالأقوال كلما سنحت له الفرصة بذلك.. وسيبذل قصارى جهدة، ليكون لبقاً حصيف الرأي، فلا يزج بنفسه في خصوصيات الناس، وفي نفس الوقت ينضم إلى كنيسة من الكنائس ويعاشر غيره من المسيحيين، إن كان في الجامعة أو في مكان عمله غير خائف ولا وجل أن يعترف جهراً بمسيحه ومسيحيته إذا ما تحداه أحد أو دعته ضرورة إلى ذلك، وأن يجدّ بالصلاة والقدوة والشهادة في السعي لربح رفاقه إلى المسيح.

3ـ الدوافع والمحفّزات

إن المطالب التي يطلبها يسوع ثقيلة صعبة، ولكن الأسباب التي أدلى بها ملزمة جداً، وفي الحقيقة إذا راعينا بعين الجد والاهتمام ما يتطلبه منا تسليم تام فإننا نحتاج إلى هذه المحفّزات القوية:

أولاً: الدافع الأول لتسليم أنفسنا للمسيح هو لأجل خاطر أنفسنا:

"فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه.. يخلصها .. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه" (مرقس 8: 35 – 37) إن كثيرين يتملكهم الخوف والفزع، بأنهم إذا سلموا أنفسهم ليسوع المسيح سيخسرون خسارة كبيرة.. وينسون أو يتناسون قول الرب يسوع "أتيت إلى العالم لتكون لهم حياة ويكون لهم أفضل" (يوحنا 10: 10) وغايته

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

أن يسعد ويغني جميع الذين له دون أن يفقرهم وإن خدمته حرية كاملة، وبالطبع لا بد من خسائر تلحق بنا عندما نسلّم أنفسنا للمسيح، وقد نخسر بعض الأصحاب ولكن التعويض الغني المشيع يفوق كل خسارة، فإذا أهلكت نفسك بتسليمها للمسيح فإنك ستجدها وتخلّصها، وهنا نرى التناقض العجيب في الاختبار المسيحي ألا وهو أن إنكار النفس الحقيقي معناه وجود النفس الحقيقي، وكوننا نعيش لأنفسنا، ضرب من الجنون والانتحار، ولكن أن يحيا لله وللإنسان حكمة وحياة في الواقع، ولن نجد أنفسنا ما لم نكن على أتم الاستعداد لأن نهلكها في خدمة المسيح وخدمة إخوتنا من بني جنسنا.

ودعماً لهذه الحقيقة، قارن يسوع بين "العالم كله" وبين "نفس الفرد الواحد" ومن ثم سأل ما يمكن أن يسأله رجل الأعمال عن الربح والخسارة، فلنفرض أنك ربحت العالم كله وخسرت نفسك فماذا ربحت؟ وكان يحاجّ في الواقع أنه حتى في أدنى المقاييس البشرية، وأعني بها المصلحة الشخصية، حتى في هذه فإن إتباع يسوع ينفع تابعه، لأنك إذا لم تتبعه أهلكت نفسك وفقدت حياتك الأبدية، مهما بلغت أرباحك المادية في ذلك الوقت. فلماذا هذا؟ أجل، لأنك إذا لا تقدر أن تربح العالم كله من ناحية، ومن ناحية أخرى لو فرضنا أنك ربحت العالم كله، فإنه ربح لا يدوم، ولو دام فإنه لا يشبع "ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه؟" لا شيء يستحق أن يعوض عن خسارة النفس، وبالطبع أن تكون مسيحياً أمر مكلف ولكنك تتكلف أكثر لو لم تكن مسيحياً.

ثانياً: الحافز الثاني لتسليم النفس للمسيح هو لأجل خاطر الآخرين:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يجب أن نخضع للمسيح لا بسبب ما نناله منه فحسب، بل بسبب ما يمكن أن نعطي، لنكن معطائين.. "لأن من يهلك نفسه.. من أجل الإنجيل يخلصها"، والعبارة "من أجل الإنجيل" تعني "في سبيل نشره والكرازة به للآخرين". وقد أسلفنا فيما تقدم بأنه لا يجب أن نستحي بالمسيح ولا بإنجيله، بل ينبغي أن ننادي به للآخرين بكل فخر واعتزاز.

نعرف بعض الشيء عن مأساة عالمنا المضطرب، مما يكسر القلب حتى أن بقاءنا على قيد الحياة أمر مشكوك فيه، فالمواطن العادي يشعر عادة بأنه ضحية بريئة من ضحايا تقلبات السياسة المتشعبة فماذا عساه يفعل؟ إن الواجب يحتم عليه أن يقوم بدوره في المجتمع كمواطن مسؤول، ولكنه يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك، وإنه لامتياز له أن يعرف في المسيح سر الرجاء والسلام، وسر العلاقات الشخصية، وسر تقلب الناس أيضاً وبذلك يمكنه أن يساهم في نشر السلام والمحبة في العالم بالإتيان برفاقه وأصحابه إلى المسيح، الذي فيه نجد المحبة والسلام، وإن خير عمل يقوم به الإنسان لسد حاجة العالم هو أن يحيا حياة مسيحية وأن يبني بيتاً مسيحياً، وبالتالي أن يعمل على إشعاع نور إنجيل يسوع المسيح..

ثالثاً: وأعظم حافز هو لأجل خاطر المسيح:

"من يهلك نفسه من أجلي.. فهو يخلصها"، لو طلب منا القيام بعمل صعب فإن درجة رضانا واستعدادنا تتوقف إلى حد كبير على شخص مَن يطلب منا ذلك،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

فلو جاء الطلب من صاحب فضل علينا ندين له بالكثير، فإننا نندفع إلى العمل عن طيب خاطر ولهذا السبب نشعر أن طلب المسيح منا، طلب جميل ومقنع مشبع فهو يطالبنا بأن ننكر أنفسنا ونتبعه من أجل خاطره هو، ولهذا فإنه بالتأكيد يصف هذا الإنكار بالقول "ويحمل صليبه" فهو لا بطلب منا أكثر مما أعطانا، لأنه يطلب منا حمل الصليب الذي حمله هو قبلنا ولأجلنا، فيجب أن نتبعه لا لمجرد ما نأخذ منه فحسب، ولا بسبب ما يمكننا بذله وإعطاؤه وإنما بسبب ما أعطاه لنا، فقد بذل نفسه، فهل يكلفنا كثيراً؟

لقد كلفه أكثر من ذلك، فقد ترك أمجاد السماء وسجود الملائكة له عندما جاء وأخلى نفسه، آخذاً صورة عبد وولد في مذود حقير واشتغل كنجار بسيط، وأحب الصيادين والعشارين، ومات على الصليب موت المجرمين لكي يحمل خطايا العالم كله.

إن نظرة واحدة إلى الصليب لكفيلة بأن تجعلنا مستعدين أن ننكر أنفسنا وأن نتبعه حيث تختفي صلباننا الصغيرة الحقيرة خلف صليبه، آه! لو استطعنا مرة أن نرى لمحة من عظمة محبته التي جعلته يحتمل العار والآلام من أجلنا نحن المزدرى وغير الموجود الذين لا نستحق سوى الدينونة، لو أمكننا ذلك لانكشفت الأمور وظهر أنه لا يوجد أمامنا إلا طريق واحد لا سواه هو "كيف يمكن أن ننكر أو نرفض مثل هذا المحب العظيم؟"

هل تشكو ضعفاً روحياً أو افتقاراً خلقياً؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

هذا يعني أنك لست مسيحياً.

إن أردت أن تعيش عيشة سهلة تستمتع بالملذات والشهوات، فاعمل ما شئت، ولكن ابعد عن المسيحية..

ولكن إذا رغبت في حياة بها تعرف نفسك وتجدها وتعيش كما يحق لطبيعة الله التي منحك إياها..

إذا أردت أن تحيا حياة المغامرة، حيث تنال امتياز خدمة الله ورفاقك.

إذا قصدت أن تعيش عيشة، بها تعبّر عما يغمرك من شكر وعرفان لذاك الذي مات من أجلك، فإنني أناشدك أمام الله، أن تسلم حياتك لربنا ومخلصنا يسوع المسيح بدون تحفظ ولا تسويف.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الفصل العاشر

اتخاذ قرار حاسم

تبدو أمراً غريباً عند كثيرين من الناس فكرة ضرورة اتخاذ قرار حتى تصبح مسيحياً.. ويذهب البعض إلى أنهم مسيحيون لأنهم ولدوا في بلاد مسيحية، أو في بيت مسيحي، ويذهبون في زعمهم إلى حد القول: "على كل حال، لسنا يهوداً ولا بوذيين ولا وثنيين، ولكننا مسيحيون!" بينما يزعم البعض الآخر، بما أنهم حصلوا على ثقافة مسيحية، وأنهم تعلموا أن يقبلوا العقيدة المسيحية والمقاييس المسيحية للسلوك والتصرف، فلا حاجة لهم إلى مزيد.

ولكن مهما كان حَسَب الإنسان ونسبه، ومهما كانت تربيته وثقافته، فإنه مضطر إلى تحديد موقفه بالنسبة للمسيح: هل يقبله أم يرفضه؟! ولا مناص للبقاء على الحياد، ولا يقدر أي إنسان آخر سوانا أن يحل هذه المشكلة لنا، وعلينا أن نقرر لأنفسنا.

ولا يكفي أن نوافق على كل ما جاء في هذا الكتاب، وقد نتفق على قوة الأدلة على لاهوت المسيح، وأنه في الواقع ابن الله، كما نؤمن انه جاء وعاش ومات مخلصاً للعالم، وقد نعترف بأننا خطاة ونحتاج إلى مخلص مثله . . لكن أيّ من هذه الأمور لن يجعل منا مسيحيين حتى ولو اجتمعت جميعها معاً، فالموافقة عقلياً شيء والعزم الأدبي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الصادق شيء آخر، والإيمان بحقائق خاصة عن شخص المسيح وعمله ضروري مبدئياً، بينما الإيمان الحقيقي يترجم هذا الإيمان العقلي إلى ثقة وتصديق، ويجب أن يقودنا الاقتناع العقلي إلى تسليم وخضوع شخصي.

وعن نفسي، كنت أظن أنه بسبب موت يسوع المسيح فوق الصليب، فإنه بطريقة أو بأخرى، قد خلّص كل العالم آلياً.. وأذكر جيداً كيف تحيرت بل ثرت واستأت عندما قيل لي لأول مرة بأنني في حاجة إلى المسيح وإلى خلاصه.. شكراً لله لأنني وصلت إلى معرفة هذا الحق، ومع أن اعترافي بحاجتي إلى مخلص أمر مستحب، والإيمان بأن المسيح هو مخلص العالم أحسن، ولكن أفضل الكل هو قبولي له شخصياً مخلصاً لي .. ومن المؤكد أن ضمير المتكلم شائع في الكتاب المقدس. ونقرأ "الرب راعيّ فلا يعوزني شيء". "الرب نوري وخلاصي" "يا الله أنت إلهي" "هذه القيمة التي لا تقدّر بثمن، من اجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي" (مزمور 23: 1، 27: 1، 63: 1، فيلبي 3: 8)

وفي الكتاب آية توضح أكثر من غيرها، فكرة القرار أو العزم الذي يجب أن يُتخذ، كما توضح الخطوة الواجب اتباعها لذلك. إنها أية يحبها المسيحيون بوجه عام، وقد نطق بها الله لكثيرين من طالبيه، وهي الآية التي كانت سبب تسليم قلبي للمسيح، وتحوي كلمات المسيح نفسه، ألا وهي: "هأنذا واقف على الباب وأقرع، إن سمع احد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي" (رؤيا 3: 20).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

مثل القلب البشري أو النفس البشرية مثل بيت، ولكل واحد منا حياته الخاصة التي يحياها، وبيته الخاص الذي يديره، وأنا ملك في بيتي وبالحري في قلعتي، كما أنك ملك في قلعتك، وزد على ذلك فإن تخوم قلعتنا وحدودها مقدسة ومحمية، ولا نسمح لكائن مَن كان أن يدخل بدون إذن منا.. إن ربنا يسوع المسيح واقف على الباب الخارجي لبيوتنا، أو بالحري بيوت شخصياتنا، قارعاً طالباً الدخول، والقرار الذي يجب أن نقرره بسيط جداً ألا وهو هل نسمح له بالدخول أم نرفضه؟

وقد أعطى الرسام المشهور "هولمان هانت" الذي سبق عصر روفائيل، أعطى هذه الآية معنى أوضح جعلها حية في عقول وقلوب الكثيرين في الصورة الرائعة التي رسمها، صورة "نور العالم" .. وقد رسمت الصورة الأصلية في عام 1853 وعرضت في الأكاديمية الملكية في عام 1854، وبناء على وصية "توماس كومب" - صاحب مطبعة جامعة أكسفورد - أعطيت هذه الصورة هدية إلى "كلية كيبل" في أكسفورد ولا تزال معلّقة هناك، أما الصورة الموجودة في كاتدرائية القديس بولس فهي نسخة عن الصورة الأصلية .. وقد رسمها الفنان نفسه بعد الأولى بمدة أربعين سنة.

وقد نشرت جريدة "التايمز" في عددها الصادر بتاريخ 5 مايو (أيار) سنة 1854 رسالة من "جون راسكن" حَوت وصفاً للصورة كما يأتي: ".. على الجانب الأيسر من الصورة يُرى باب النفس البشرية وهو مغلق وموصد بمزاليج قوية، وظهر الصدأ على عوارض الباب ومساميره الحديدية، وقد علا الباب، وتعلقت بقوائمه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وعوارضه نباتات متسلقة، دليلاً على أن الباب لم يفتح قط، وظهر في الصورة خفاش يحوم حول الباب، وفوق العتبة نبت العليق والقريس والقمح البري.. والمسيح يقترب في الليل.. وهو يلبس حلة ملوكية وعلى رأسه إكليل من الشوك .. وفي يده اليسرى مصباح، إشارة إلى أنه نور العالم، بينما يده اليمنى قد رفعت لتقرع على الباب".

وأرى، إجلاء للحقيقة، وتوضيحاً للقرار الذي يجب أن نأخذه، أن أسأل عدداً من الأسئلة عن هذا البيت، وعن صاحبه الساكن فيه، وعن الضيف الزائر.

أولاً: من يسكن في البيت؟

ولعل أفضل جواب هو: "كل إنسان"، ويرمز البيت إلى كل قلب، وساكنه هو الفرد صاحبه، أنت أو أنا.. ولكن من نحن؟ ولماذا يزورنا يسوع المسيح؟

نحن خطاة، ويزورنا أننا خطاة، وقد جاء إلى باب بيوتنا لا لأننا نستحق مجيئه إلينا لزيارتنا، ولكن أننا في حاجة إليه.

وعسى القرينة التي وردت فيها هذه الآية تعطينا نوراً لزيادة فهمها، فقد حوى الإصحاحان الثاني والثالث من سفر الرؤيا رسائل أملاها المسيح المقام إلى الرسول يوحنا لكي يكتبها إلى سبع من الكنائس الرئيسية في آسيا.. فالآية التي نتأمل فيها الآن، وردت في نهاية آخر رسالة، وهي الرسالة التي كتبت إلى كنيسة اللاودكيين.. وكانت لاودكية مدينة مزدهرة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

في تلك الأيام، وقد اشتهرن بصناعة الأقمشة من صوف الغنم، التي كثرت في تلك المقاطعة، كما اشتهرت بمدرستها الطبية حيث كان يصنع كحل العيون الفريجي الشهير، وأيضاً بمصارفها الغنية، وقد أوصلها هذا النجاح المادي إلى حالة من الاكتفاء الذاتي والاتكال على المال، اللذين تلوثت بهما الكنيسة المسيحية إذ ذاك، وقد التصق بشعبها آخرون من المسيحيين بالاسم فقط.. ولو أنهم من المرموقين الذين يشار إليهم بالبنان، إلا أن مسيحيتهم كانت سطحية وعرضية، وكما قال عنهم يسوع، لم يكونوا باردين أو حارين بل فاترين، ولهذا مجّتهم نفسه واشمأزت منهم.. ويعزي فتورهم الروحي إلى الحقيقة، أنهم كانوا مخدوعين في أنفسهم، ومتعدّين بذواتهم، ولا بد أنهم صعقوا وهم يقرأون كلمات المسيح لهم: "لأنك تقول أني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان" (رؤيا **3: 17**)

يا له من وصف رائع للاودكية المتكبرة الغنية!

إنهم فقراء وعميان، عراة رغم مصانع الثياب التي عندهم، وعميان رغم الكحل الفريجي المشهور، وفقراء رغم المصارف التي لهم، وإننا لا نختلف عنهم كثيراً، فقد نقول قولهم: "ولا حاجة لي إلى شيء" ولا توجد كلمات أشد خطراً في الناحية الروحية من هذه، لأنه لا شيء يمنعنا عن تسليم أنفسنا للمسيح أكثر من الكبرياء والغطرسة والغرور بالذات.. وبكل تأكيد نحتاج إلى المسيح، لأننا بدونه نبقى عراة أدبياً (لا نجد ما نستر به أنفسنا في حضرة الله وعمياناً للحق الإلهي، وفقراء لا مال لنا نشتري رضى السماء ولكن المسيح يستطيع أن يكسونا ببره، ويهب لعيوننا البصر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ويغنينا روحياً.. وسنبقى عمياناً وعراة وفقراء، ما دمنا بعيدين عنه، وحتى نفتح لــه الباب لكي يدخل إلينا.

ثانياً: من هو الضيف؟

إنه يسوع الذي يشهد له التاريخ، فليس مجرد شخصية خيالية وبطلاً روائياً، إنه رجل الناصرة الذي تثبت دعاواه وطبيعته وقيامته، إنه ابن الله.. وفضلاً عن ذلك، فهو المخلص المصلوب.. وما اليد التي تقرع على الباب، سوى يده المثقوبة، والرجل التي تقف على العتبة إلا تلك التي دقت فيها المسامير.. إنه هو هو ذاك الذي مات ما أجل خطايانا فوق الصليب.. المسيح المقام من بين الأموات أيضاً، وقد وصفه يوحنــا في الإصحاح الأول من سفر الرؤيا "الرب الممجد" كما رآه في رؤياه "وعيناه كلــهيب نار. ورجلاه شبه النحاس النقي وصوته كصوت مياه كثيرة ووجهه كالشمس وهي تضيء في قوتها" وتصف هذه المظاهر في رموز حية ناطقة، تصف مجد يسوع المسيح المقام، فلا غرابة إن سقط يوحنا عند رجليه، وما أصعب أن نفهم كيف أن شخصاً مثله له كل هذا الجلال والمجد يتنازل ويزور فقراء عمياناً وعراة مثلنا!!

ثالثاً: ماذا يعمل؟

إنه واقف، والعبارة المترجمة "واقف على" في لغتها الأصلية أي اليونانية تعني "أنه جاء إلى الباب ووقف ولا يزال واقفاً".. فهو عند الباب وليس بعيداً عنــه، وكــان بإمكانه أن يتسربل بحلة ملوكية، ويجلس على عرشه ينتظرنا حتى نذهب إليه، ولكنه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

بدلاً من ذلك لقد جاء هو إلينا، إلى باب بيتنا.. وربما جاء منذ وقت طويل.. فهل تعرف كم سنة تركته واقفاً ينتظر؟

ولا يقتصر المسيح على وقوفه بل "يقرع".. لقد جاء ووقف ونلاحظ أن صيغة الفعل "يقرع" هي صيغة المضارع، وهذا يعني استمرار قرعه على الباب، فإنه لا يتركنا في حيرة أو غفلة بل يعرّفنا بوجوده وحضوره، كما يعرّفنا بقصده.

كما نراه يتكلم ويقول: "هأنذا واقف على الباب وأقرع" إنه يلفت أنظارنا إلى حضوره ويطلب منا أن نعرف أنه هناك.

ولعل الأفعال الثلاثة تنبّر على تواضع المسيح وحرية الإنسان فالمسيح واقف على الباب، لا يركله برجله، بل يقرع على الباب بهدوء دون أن يدفعه بالقوة، كما يتكلم إلينا بلطف دون أن يصيح.. مع أن البيت بيته، وهو الذي وضع تصميمه ورسمه، هو الذي صنعه وبناه، هو صاحبه ومالكه، اشتراه بدمه، فهو ملكه بحق التصميم وحق البناء وحق الشراء، وما نحن سوى مستأجرين نسكن في بيت ليس لنا، وكان بإمكانه أن يدفع الباب بكتفه، ولكنه يفضّل أن يمد يده ويقرع.. وله الحق في أن يأمرنا لنفتح له، ولكن بدلاً من ذلك يدعونا لكي نفتح نحن، إنه يقف صابراً ويقرع بلطف ويتكلم برقة، ولا يدخل عنوة إلى حياة أي إنسان، بل يقول: "أشير عليك.." (ع 18) ومع أن من حقه أن يصدر الأمر ولكنه يرضى أن يقدّم المشورة والنصح.. هذا هو تواضعه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وتنازله العجيب، وهذه هي حرية الإنسان التي أعطانا الله إياها، ولا يريد لنا غيرها بديلاً.

رابعاً: ماذا يريد أن يفعل؟

إنه يطلب الدخول، لهذا يقف على الباب، وليس على النافذة، ولا يكتفي بالنظر إلى الداخل، لأنه يستطيع ذلك دائماً وفي أي وقت يشاء، فلا تخدعه لغة الأدب.. لكنه يطلب منا أكثر من إشارة رضى على بعد، وعلينا أن نقرر فتح الباب له وندعوه لكي يدخل.. وقد يصعب علينا تصديق القول أنه يبغي الدخول، لكنها حقيقة واقعة، إن هذا هو عين ما يريده، ذاك الذي لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي والذي لا تسعه السموات ولا سماء السموات يرضى أن ينحني لكي يدخل الكوخ الحقير في قلوبنا الخاطئة.

ولكن لماذا يريد الدخول؟

لقد رأينا فيما سبق الأسباب لذلك.. لأنه يريد أن يكون مخلصاً ورباً لنا. فقد مات لكي يكون مخلصنا، فإذا ما قبلناه فإنه سوف يمارس فوائد موته لنا شخصياً، وسرعان ما يدخل البيت حتى يبدأ عمله الأول بتنظيفه وتجديده وتزيينه وتأثيثه، أو بعبارة أخرى، سوف يطهرنا ويغفر لنا ويمحو كل ما عملناه في الماضي، وزد على ذلك فإنه يعدنا بأن يتعشى معنا، ويسمح لنا بان نتعشى معه، ولعلّ العبارة تتضمن معنى الفرح الذي لا ينطق به – فرح الشركة معه – فلا يقتصر على بذل نفسه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لأجلنا، وإنما يريدنا أن نعطيه نفوسنا.. كنا غرباء، فأصبحنا أحباء، كان بيننا بـــاب مغلق، أما الآن فإننا نجلس على نفس المائدة الواحدة معاً.

وسيدخل أيضاً رباً وسيداً، ويضحى بيتنا تحت إدارته وسيادته، ويتولى ضبطه وتنظيمه، ولا معنى إطلاقاً لفتح الباب ما لم نكن مستعدين لقبوله.. وحالما تطأ رجله أرض البيت، ويدخل من العتبة، لنضع في يده كل المفاتيح، لكي يتسنى له الدخول إلى كل غرفة في البيت، ولا نبقي لأنفسنا أية غرفة سرية بعيداً عنه..

كتب إليّ مرة شاب كندي مثقف يقول: "بدلاً من تسليم يسوع مجموعة كبيرة من المفاتيح المختلفة ليفتح بها الغرف الكثيرة في بيتي فقد أعطيته مفتاحاً واحداً يفتح جميع الأبواب".

علينا إذاً أن نتوب توبة حقيقية، منصرفين عن كل شيء غير مرضٍ أمامه، ولا أقصد أن نحسّن أنفسنا قبل أن ندعوه ليدخل ولكن بالعكس إنه بسبب أننا لا نقدر أن نغفر لأنفسنا أو نحسّن أنفسنا، فإننا أشد ما نكون بحاجة لكي يأتي ويدخل إلينا، على أن نظهر استعدادنا الكلي لكل ما يجريه من تغييرات وتنظيم فينا بعد أن يدخل.. فلا نقاومه بل نخضع خضوعاً تاماً بدون قيد أو شرط لسيادة الرب يسوع المسيح، ولـــن يكون في مقدورنا أن نملي شروطاً، فماذا يعني هذا؟ لا أستطيع أن أجيبك بالتفصيل.. ولكن من حيث المبدأ إنه يعني العزم التام لترك الشر واتباع المسيح..

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

فهل تتردد؟ وهل تقول ليس من المعقول أن تخضع للمسيح خضوعاً أعمى؟ بالتأكيد، ليس الأمر كذلك، لكنه أكثر معقولية من الزواج الذي فيه يضع كل من الزوج والزوجة نفسه تحت تصرف الآخر دون ما قيد ولا شرط، ودون أن يعلما ما يخبئه لهما المستقبل، ولكن يحب أحدهما الآخر ويثق كل منهما بالآخر، فيتعاهدان كلاهما: "بأن يعيشا معاً في السراء والضراء، في الغنى والفقر، في الصحة وفي المرض، تربطهما المحبة حتى يفصلهما الموت".. فإن وثق البشر بالبشر، ألا نثق نحن بابن الله؟ وإنه لأكثر معقولية أن يسلّم الإنسان نفسه إلى الله، من أن يسلمها إلى أنبل البشر وأشرفهم، فإن المسيح لا يخون العهد ولا يحنث بالوعد، ولا يسيء استغلال ثقتك به.

خامساً: ماذا يجب أن نفعل نحن؟

علينا بادىء ذي بدء أن نسمع صوته، وإنه لمن الممكن المحزن أن نصمّ عنه آذاننا، وأن نغفل همساته الدائمة لنا، وقد نسمع صوته تارة في وخزات الضمير، وطوراً في مناحي التفكير، وقد نسمع صوته إذا أصابتنا هزيمة أدبية، أو اعترانا جوع روحي شديد أو مرض أو آلام أو خوف أو غيرها.. ويمكن أن نصغي إلى دعوته عن طريق صديق أو واعظ أو كتاب، وإذا سمعنا فلننصت ونصغ "من له آذان للسمع فليسمع" كما قال يسوع.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

وعلينا أيضاً أن نقوم ونفتح الباب: بعد أن سمعنا صوته، لنفتح له عندما يقرع، وما فتح الباب ليسوع المسيح سوى طريقة تصويرية لوصف عمل الإيمان به كمخلص لنا، وعمل التسليم له رباً لحياتنا.

هذا عمل خاص محدد:

ولعل صيغة الفعل في اللغة اليونانية توضح لنا ذلك، فالباب لا يُفتح عن طريق الصدفة أو من تلقاء نفسه، كما أنه لم يترك مفتوحاً على مصراعيه، لكنه مغلق، وينبغي أن يفتح.. وزد على ذلك أن المسيح لا يقدر أن يفتحه، فكما رسم هولمان هانت الصورة، لا ترى للباب مزلاجاً ولا مقبضاً من الخارج، ويقال أنه أغفل رسمها قصداً لأن المزلاج من داخل الباب.. فالمسيح يقرع، ويجب علينا نحن أن نفتح.

إنه عمل فردي:

يقول يسوع: "إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه" يجب على كل إنسان أن يتخذ قراره لنفسه، ويخطو هذه الخطوة بشخصه، ولا يمكن لإنسان غيرك أن يفعل هذا، وكل ما يستطيعه الوالدون المسيحيون ، والمعلمون والرعاة والأصدقاء، هو أن يرشدوك إلى الطريق الصحيح، ولكنها يدك، ويدك فقط هي التي تجر المزلاج، وتدير المقبض.

إنه عمل عجيب فريد:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يمكنك أن تأخذ هذه الخطوة مرة واحدة فقط، لأنه عندما يدخل يسوع فسيغلق الباب ويضع المتاريس من الداخل، وقد تطرده الخطية وتطارده حتى ليجد نفسه في غرفة الخدم ولكنه لن يتراجع ولن يهجر البيت بعد أن يدخله، بل يقول: "لا أتركك لا أهملك" (عبرانيين 13: 5) ولا أقول أنك سوف تخرج من هذا الاختبار ملاكاً اكتملت جناحاه، ولكن بالعكس لن تصير كاملاً في رمشة عين، وقد تصير مسيحياً في لحظة، ولكن ليس مسيحياً ناضجاً، ويستطيع المسيح أن يدخل ويطهرك ويغفر لك ذنوبك في ثوانٍ، ولكن قد تستغرق عمراً مديداً إلى أن تتغير وتصاغ في إرادته، وفي دقائق معدودات يتزوج العروس والعريس، ولكنهما يظلان سنوات، تتصارع إرادتهما القوية، ويختلفان ثم يتفاهمان، إلى أن يتم بينهما الوفاق والانسجام، وهكذا التسليم للمسيح، يكون عادة أمراً فجائياً، بينما يستمر ويتزايد في التجانس والانسجام معه.

إنه عمل اختياري:

لست في حاجة أن تنتظر نوراً فائق الطبيعة يسطع عليك من السماء، أو اختباراً عاطفياً يأخذك ويستهويك، كلا، فإن المسيح جاء إلى العالم ومات من أجل خطاياك، وها هو قد جاء أيضاً ووقف خارج باب بيت حياتك قارعاً، ولا من مزيد بعد ذلك، وعليك أنت أن تأخذ الخطوة التالية، وها يده على الباب تقرع، فهل تمد يدك إلى المزلاج لتفتح؟

إنه عمل فوري:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لا تنتظر أكثر مما يجب، فالوقت يمر بسرعة البرق، والمستقبل مجهول، وربما لا تكون أمامك فرصة أحسن من هذه.. "لا تفتخر بالغد لأنك لا تعلم ماذا يلده يوم " (أمثال 27: 1) ويقول الروح القدس: "اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسو قلـوبكم" (عبرانيين 3: 7، 8) لا تؤجل حتى تجرب أن تحسّن نفسك أو تصير أكثر استحقاقاً لدخول المسيح فيك، أو إلى أن تحل جميع مشاكلك، بل يكفي أن تؤمن أن المسيح ابن الله، وأنه مات ليك يكون مخلصك.. وسوف يكمل الباقي في الوقت المناسـب، ولا شك أن في التسرع والطياشة خطراً، ولكن خطر التسويف والتأجيل لا يقل خطورة، ففي عمق قلبك، اعلم علم اليقين أنه يجب أن تتخذ قراراً، ولكن أرجوك مشدداً ألا تؤجل فتح باب قلبك ليسوع، بل افتحه الآن!

إنه عمل لا غنى عنه:

من البديهي أن في الحياة المسيحية أموراً أكثر من هذه، وسوف نرى في الفصل التالي الدخول في الشركة مع الكنيسة واكتشاف إرادة الله وإتمامها والنمو في النعمة والفهم والقيام بعمل ما للمسيح، وما هذه الخطوة سوى بداءة، ولن يقوم شيء آخر مقامها، ويمكنك أن تؤمن بالمسيح عقلياً، وتعجب به، ويمكنك أن تتلو صـلواتك في داخل مخدعك كما فعلت أنا سنوات كثيرة، ويمكنك أن تكـون أديبـاً ومحتشـماً ومستقيماً وصالحاً، يمكن أن تكون تقياً ومتديناً ويمكن أن تكـون قـد تعمـدت وأصبحت عضواً في الكنيسة، أو تكون قد تعمقت في فلسفة الديانات، أو تكـون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

عّلامة لاهوتياً أو قسيساً مرتسماً، ومع ذلك كله لم تفتح الباب للمسيح.. ولن تجد لذلك بديلاً.

يروى أن سيدة مرموقة، حضرت اجتماعات الدكتور بلي غراهام وتقدمت إلى الأمام بعد الاجتماع تلبية لدعوته، وفي الغرفة المخصصة للاستشارات اجتمعت بأحد القسوس الذي اكتشف بأنها لم تسلّم حياتها بعد للمسيح، وأشار عليها أن تصلي.. فأحنت رأسها وصلت هكذا: "يا حبيبي الرب يسوع، أريد أن تأتي الآن إلى قلبي أكثر من أي شيء آخر في الوجود. آمين".

وحدث مرة أن ركع شاب – في أواخر العقد الثاني من عمره – بجوار فراشه بالقسم الداخلي بمدرسة في مساء أحد، وكانت الساعة حوالي العاشرة مساء يوم الثالث عشر من فبراير (شباط) سنة 1938، وفي بساطة وصراحة اعترف للمسيح، بأنه جعل حياته دماراً وخراباً، واعترف بخطاياه وشكر المسيح لموته من أجله وطلب منه أن يدخل حياته، ثم كتب في اليوم التالي في مذكراته ما يأتي: "لقد كان الأمس حقاً يوماً تاريخياً مشهوداً وحتى تلك اللحظة كان المسيح على هامش حياتي، فلم أطلب منه سوى أن يرشدني دون أن أعطية زمام قيادتي،ها هو واقف على الباب ويقرع، لقد سمعته ثم فتحت له الباب وأدخلته إلى بيتي ونظفه وطهره، وهو الآن يملك ويسود.. " ثم كتب ثاني يوم: " حقاً لقد شعرت بفرح عظيم جديد يغمرني طوال

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

اليوم، إنه فرح السلام مع العالم ومع الله وإنني أعلم علم اليقين بأن يسوع المسيح سيدي يحكمني و لم أكن أعرف ذلك قبل اليوم.."

هذه اقتباسات من مفكرتي أتجاسر على اقتباسها لأنني لا أريدكم أن تفكروا بأني

أوصيكم لكي تتخذوا خطوة لم أخطها بنفسي قبلكم.

فهل أنت مسيحي حقيقي؟ وهل أنت مسيحي حقيقي سلَّم نفسه للرب تماماً؟ وإن جوابك يتوقف على سؤال آخر، فلا أسألك إذا كنت تذهب إلى الكنيسة أم لا، أو تؤمن بقانون الإيمان أم لا أو تحيا حياة فاضلة أم لا (مع أن هذه جميعها غاية في الأهمية)؟ ولكن سؤالي هو: "أين يقف يسوع المسيح في حياتك؟ هل هو داخل الباب أم خارجه؟" هذا هو السؤال الخطير المحرج.

ربما تكون الآن مستعداً أن تتخذ قراراً، وتعزم عن تفكير وروية، أن تفتح الباب للمسيح، فإذا لم تكن متأكداً تماماً أنك فعلت هذا في الماضي فإني أنصحك أن تتأكد، وأريد أن أشير عليك أن تختلي في مكان منفرداً لتصلي.. اعترف بخطاياك واتركها. اشكر المسيح لموته من أجلك وبدلاً عنك، ثم افتح الباب واطلب منه أن يدخل إلى قلبك مخلّصاً شخصياً ورباً لك. وقد تجد فائدة في تلاوة مثل هذه الصلاة:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

"أيها الرب يسوع، أمامك أعترف أنني خاطىء، فقد أخطأت بالفكر والقول والعمل، أنا حزين بسبب خطاياي، وها أنا أتركها نادماً تائباً.

"أنا أؤمن أنك مُتّ من أجلي وحملت خطاياي في جسدك، وأنا أشكرك من أجل محبتك العظيمة.

"والآن ها أنا أفتح الباب، ادخل أيها الرب يسوع، ادخل مخلصاً لي لكي تطهرني، ادخل رباً وسيداً واملكني وسأخدمك طول حياتي في شركة مع المسيحيين الآخرين، وأنت تزودني بالقوة، آمين.."

إن صليت هذه الصلاة وأنت تعني ما تقول..

وأنت في سكون واتضاع تشكر المسيح الذي دخل إلى قلبك

وقد وعد بذلك، ووعده صادق وقال: إن سمع أحد صوتي.. وفتح الباب، أدخل إليه..

غض الطرف عن مشاعرك وإحساساتك.

اتكل على وعوده وصدقها.

واشكره لأنه عند كلمته يتمم ما وعد به.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الفصل الحادي عشر

ماذا يعني أن تكون مسيحياً

لقد كتبت هذا الفصل خصيصاً للذين فتحوا باب قلوبهم ونفوسهم ليسوع المسيح.. الذين سلموا أنفسهم له.. الذين بدأوا الحياة المسيحية، ولكن أن تصير مسيحياً شيء، وأن تكون مسيحياً شيء آخر، وها نحن نقتصر في حديثنا هنا عن: "ماذا يعني أن تكون مسيحياً؟"

لقد أخذت خطوة بسيطة ودعوت المسيح لكي يدخل مخلصاً لك ورباً، ولكن الله آنئذ صنع معجزة عظيمة إذ أعطاك حياة جديدة وولدت من فوق ودخلت ضمن عائلة الله وأصبحت ابناً لله.. ربما لم تشعر بأي تغيير عظيم عند ولادتك الروحية كما لم تشعر بشيء طبعاً عند ولادتك الجسدية، ومع ذلك فإنك عندما ولدت جسدياً صرت شخصية جديدة مستقلة، هكذا لما ولدت ثانية من فوق أصبحت روحياً خليقة جديدة في المسيح.

ولكن (ربما يخطر لك على بال): أليس الله أباً لجميع الناس؟ أليس جميع الناس أولاد الله؟. كلا! فإن الكتاب المقدس يميّز بوضوح وصراحة بين أبوة الله العامة التي تمتد إلى جميع الذين خلقهم وصنعهم وبين أبوته الخاصة المحدودة وهي تختص بالذين ولدهم ثانية في المسيح. إن الله خالق الجميع، ولكنه آب فقط لأولئك الذين قبلوا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

يسوع مخلصاً لهم. ويوضح الرسول يوحنا ذلك في بداءة إنجيله بقولـــه: "جـــاء (أي يسوع) إلى خاصته، وخاصته لم تقبله وأما كل الذين قبلوه فأعطـــاهم ســـلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا.. من الله" (يوحنا 1: 11 – 13) وهذه العبارات الثلاث وأعني بها: "الذين قبلوه" و "المؤمنون باسمه" و "الذين ولدوا من الله" والذين ولدوا من الله هم أولئك الذين قبلوا المسيح في حياتهم والذين آمنوا باسمه.

فإذا أردنا إذاً أن نفهم ماذا يعني أن تكون مسيحياً – كما يعلمنـــا الكتـــاب المقدس – فعلينا أن نعرف امتيازات أولاد الله ومسؤولياتهم.

1- امتيازات أولاد الله

إن الامتياز العظيم والفريد من نوعه لأولاد الله الذين وُلدوا من الله، هو أنهـــم ينتسبون إلى الله.. ودعونا نتأمل هذه العلاقة.

1- أنها علاقة وثيقة:

رأينا فيما سلف كيف انفصلنا عن الله، فقد أبعدتنا خطايانا عنه وصارت فاصلة بيننا وبينه، ولكن هذا الفاصل قد تلاشى بعد أن كانت الخطايا أشبه بـــالغيوم الـــتي تحجب نور وجهه أما الآن فقد انقشعت الغيوم وأشرقت الشـــمس.. ويمكننـــا أن نستخدم تشبيهاً آخر ورد كثيراً في رسائل بولس الرسول بأننا كنا تحـــت الدينونـــة العادلة لديان كل الأرض، ولكن الآن قد تبررنا في المسيح يسوع (الذي حمل إدانتنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

والذي فيه اتحدنا بالإيمان).. أي أننا صرنا مقبولين لدى الله وأصبحنا أبـــراراً، وقـــد أصبح الدّيان أباً لنا.

"انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله" (1 يوحنا 3: 1) "الآب" و "الابن" هما اللقبان المميزان اللذان أعطاهما المسيح لله ولنفسه؛ وهما اللقبان اللـــذان يسمح لنا باستخدامهما.. وبالاتحاد معه، يخوّل لنا أن نشاركه علاقته الوثيقة بالآب، ولقد أوضح أسقف قرطاجنة في منتصف القرن الثالث الميلادي في نبذتـــه المســـماة: "الصلاة الربانية" أوضح امتيازنا بقوله: "ما أعظم تسامح الرب! ما أعظم تنازله، وما أعظم جوده نحونا، كما يبدو من رغبته لنا في أن نصلي أمام الله بطريقة بها ندعوه "الله الآب" وأن ندعو أنفسنا "أولاد الله" كما أن المسيح هو ابن الله، الاسم الذي لم يكن أحد منا يتجاسر أن ينطق به في صلاة، لو لم يسمح لنا هو باستخدامه في صلواتنا".

والآن، أخيراً، نستطيع أن نتلو الصلاة الربانية بدون رياء فقد كانـــت قـــبلاً كلمات خرقاء جوفاء، أما الآن فإنها فياضة بالمعاني السامية الجديدة، وحقاً أن الله هو أبونا في السماوات الذي يعرف ما نحتاج إليه قبل أن نسأله، وهو الذي يعطي لأولاده عطايا جيدة (متى 6: 32، 7: 11) وقد تدعوه الضرورة إلى تأديبنا وإخلاصنا "لأن الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يسر به" (عبرانيين 12: 6، قابل أمثال 3: 12) ولكن مما يطمئننا هو أن عصا التأديب في يد الآب المحب، ولا شك أننا مع مثل هذا الآب الرحيم والحكيم القوي نتخلص من كل مخاوفنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

2- علاقة أكيدة:

إن علاقة المسيحي بالله مثل علاقة الابن بأبيه أي أنها ليست علاقة وثيقة فحسب، بل أيضاً علاقة أكيدة فكيف نعرف أنها توطدت؟ إن عدداً كبيراً من الناس يعيشون في الآمال، وهم يرجون الأفضل ولكن هل يمكن التأكد من ذلك؟ نعم لأنها إرادة الله المعلنة لنا. فينبغي أن نتأكد من علاقتنا بالله، ليس فقط حباً في راحة الفكر وروح مساعدة الآخرين، ولكن لأن الله يريدنا أن نكون متأكدين، ويصرح يوحنا الرسول بأن هذه كانت غايته في كتابة رسالته الأولى، كما يقول: "كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية" (1 يوحنا 5: 13).

إلا أن الطريقة للتأكد، ليست أن نشعر بالتأكيد، فإن معظم المسيحيين الحديثي الإيمان، يقعون في هذه الغلطة في بدء حياتهم المسيحية، إذ يعولون كثيراً على احساساتهم السطحية الخارجية ففي يوم يشعرون بقربهم لله وفي يوم آخر يشعرون أنهم غرباء عنه وبعيدون ثانية، ويظنون أن مشاعرهم وأحاسيسهم تعبّر تعبيراً صادقاً عن حالتهم الروحية ولذلك يقعون في حالة مرعبة من عدم التأكد وتصبح حياتهم المسيحية كأنها أرجوحة ترتفع بهم تارة إلى أعلى عليين من السمو وتهبط بهم طوراً إلى أعماق الانقباض والكآبة، وليس هذا بالأمر المستحب، ويجب أن يتعلم الإنسان عدم الاستسلام لأحاسيسه ومشاعره لأنها تتغير وتتبدل مع تغير الأحوال وتبدل الصحة ونحن خلائق متقلبون في طبائعنا وميولنا وليس هناك من علاقة بين إحساساتنا المتقلبة وتقدمنا الروحي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

إن مشاعرنا لم تكن أساساً لمعرفتنا بأننا في علاقة مع الله، ولكن الأساس الصحيح هو ما قاله لنا بهذا الصدد، فالمحك الذي نطبعه على أنفسنا يأتي من الخارج وليس من الداخل، ولسنا في حاجة أن نبحث في داخلنا عن دليل الحياة الروحية، بل لنمد أبصارنا إلى فوق وإلى الفضاء، إلى الله وإلى كلمته، ولكن أين نجد كلمة الله التي تؤكد لنا بأننا أولاده؟

(أ) **كلمة الله مكتوبة في كتبنا المقدسة:** إن الله يعد في كلمته المكتوبة، أن يعطي حياة أبدية لجميع الذين قبلوا المسيح "وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه. من له الابن له الحياة. ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة" (1 يوحنا 5: 11، 12) ولا يعتبر حدساً وغطرسة، أن نؤمن متواضعين بأن لنا حياة أبدية، بل بالعكس فإن الإيمان بكلمة الله هو التواضع لا الكبرياء، والحكمة وليست الغطرسة، وأن الشك هو عين الغباء والخطية لأنه يقول: "من لا يصدق الله فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التي شهدها الله عن ابنه" (ا يوحنا 5: 10) والكتاب مليء بمواعيد الله التي لا يألو المسيحيون المعقولون جهداً في حفظها واستيعابها في الذاكرة فإذا ما أصابه سوء وسقط في هوة الانقباض والشك يتمسك بحبال مواعيد الله.. وهاكم بعض الوعود التي تستحق الحفظ (يوحنا 6: 37، 10: 28 ، 1 كورنثوس 10: 13 ، عبرانيين 13: 5، 6 ، أشعيا 41: 10 ، يعقوب 1: 5 ، 1 يوحنا 1: 9).

(ب) **كلمة الله مسموعة في قلوبنا:** اسمع هذه الأقوال: "لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" وأيضاً "عندما نصرخ يا أبا الآب.. فإن الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله" (رومية 5: 5، 8: 15، 16) ويعرف كل مسيحي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

معنى هذه، فإن شهادة الروح القدس في الخارج – كما تعلمنا الكتب المقدسة – تثبتها وتؤيدها شهادة الروح القدس في الداخل في اختبارنا، ولا أقصد بذلك أن نولي أية ثقة لإحساسنا السطحي ولكن أن ننتظر اقتناعاً عميقاً في قلوبنا حينما يؤكد لنا الروح القدس محبة الله ويدفعنا لأن نصرخ قائلين: "أبانا" ونحن نطلب وجه الله في الصلاة.

(ت) كلمة الله تظهر في حياتنا: إن الروح الذي يشهد في الكتاب المقدس وفي الاختبار بأننا أولاد الله، يتمم شهادته بحياتنا وسلوكنا، فإن كنا قد ولدنا من فوق في عائلة الله فإن روح الله يسكن فينا، وسرعان ما يسكن فينا حتى يبدأ عمله في تغيير حياتنا ومناهجها، ويستعمل يوحنا الرسول هذا المحك، فالإنسان الذي لا يطيع وصايا الله ويهمل واجباته نحو إخوانه ورفاقه لا يعتبر مسيحياً مهما كانت وظيفته، وإن العلامات المميزة لأولاد الله هي قداسة الحياة والمحبة العملية للقريب لا سيما للإخوة المسيحيين.

3- علاقة مضمونة:

لنفرض أننا دخلنا في العلاقة الوثيقة مع الله وتأكدنا منها بواسطة كلمة الله، فهل هي علاقة مضمونة، أم هل ممكن أن نولد في أسرة الله بعض الوقت، ونُرفَض منها في وقت آخر؟ إن الكتاب يؤكد لنا أنها علاقة دائمة، فيقول بولس الرسول: "فإن كنا أبناء فنحن ورثة أيضاً ووارثون مع المسيح" (رومية 8: 17) ورب سائل يقول: "ولكن ماذا يحدث حين أخطىء؟ ألا أزيف بنوتي وأتوقف عن أن أكون ابناً لله؟. كلا.. ويمكنك أن تفكر فيما يماثل ذلك في الأسرة البشرية، لنفرض أن شاباً تنكر لوالديه وأخذ يقسو عليهما حتى خيّمت على البيت سحابة من التوتر، فيمتنع الأب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

والابن عن الكلام مع بعضهما البعض فماذا يحدث؟ هل يكفّ الولد عن أن يكون ابناً؟ كلا.. فإن علاقتهما لم تتغير ولكن شركتهما هي التي فسدت فالعلاقة تتوقف على الولادة، بينما تتوقف الشركة على التصرف والسلوك، فسرعان ما يعتذر الشاب حتى يصفح عنه الأب فيستعيد الصفح الشركة وفي نفس الوقت تبقى علاقته كما هي فإن بدا الولد متمرداً أو عقوقاً، لكنه سيبقى ابناً لا يتغير.

وهكذا هو الحال مع أولاد الله، فعندما نخطيء لا نقطع أو نخسر علاقتنا معه كأولاد، مع أن شركتنا معه تفسد إلى أن نعترف بخطايانا ونتوب عنها، وحالما نعترف بخطايانا "فإنه أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (1 يوحنا 1: 9) "وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا.." (1 يوحنا 2: 1، 2) فعندما تسقط في الخطية اركع على ركبتيك واطلب باتضاع غفران أبيك في الحال واجتهد أن تحفظ ضميرك بلا عثرة أمام الله والناس.

وبعبارة أخرى يمكننا أن نتبرر مرة، ولكن نحتاج إلى غفران كل يوم، وعندما غسل المسيح أرجل التلاميذ أوضح لهم ذلك تماماً.. سأله بطرس أن يغسل يديه ورأسه كما يغسل قدميه، ولكن يسوع أجاب "الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله" وإذا دُعي إنسان إلى وليمة عشاء في أورشليم، كان يغتسل قبل الذهاب إلى الوليمة، كما كانت العادة آنذاك، وعندما يصل إلى بيت صاحبه لا يحتاج إلى اغتسال آخر ولكن خادماً يلاقيه عند الباب ويغسل رجليه، وهكذا عندما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

نأتي إلى المسيح في توبة وإيمان نحن نقبل "الاغتسال" (الذي هو التبرير والذي يرمز إليه ظاهرياً بالمعمودية) ولا حاجة أبداً إلى تكرارها ولكن ونحن سائرون في الشوارع المليئة بالأقذار في هذا العالم نحتاج دوماً إلى غسل أرجلنا (أي الغفران اليومي).

2ـ مسؤوليات أولاد الله

يا له من امتياز عظيم عجيب أن تكون ابناً لله، إلا أن هذه البنوّة تتضمن التزامات أيضاً، ويقول الرسول بطرس "وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنموا به" (1 بطرس 2: 2) وإن امتياز الابن لله هو صلة انتسابه كما أن مسؤوليته العظيمة هي النمو ولئن أحب كل إنسان الأطفال، لكن ما من عاقل يتمنى أن يظل في دور المهد والطفولة، وإنها لمأساة أن كثيرين من المسيحيين ممن ولدوا في المسيح لا ينمون.. بينما البعض يعاني من تضعضع الروح وتقهقره، ومن ناحية أخرى فإن قصد أبينا السماوي بأن "الأطفال في المسيح" يُحضرون إلى "إنسان كامل في المسيح" (1 كورنثوس 3: 1، كولوسي 1: 28) إذ يجب أن يتبع ولادتنا نمو وأن يقودنا التبرير الذي هو قبولنا قدام الله إلى عملية التقديس أي نمونا في القداسة.

هناك دائرتان رئيسيتان لنمو المسيحي، أولاهما هي دائرة الفهم وثانيتهما هي دائرة القداسة، فعندما يبدأ المسيحي حياته المسيحية تكون معرفته عادة قليلة محصورة و لم يعرف إلا القليل عن الله، ونرى لزاماً عليه أن ينمو في معرفة الله ومعرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح (كولوسي 1: 10، 2 بطرس 3: 18) وهي معرفة عقلية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

جزئياً كما أنها شخصية.. وللازدياد في المعرفة العقلية يقتضي لا أن نقرأ الكتاب المقدس فقط بل الكتب المسيحية السليمة، وإن إهمال النمو في الفهم هو بمثابة التعرض للرزايا واللعب بالنار، وكم في الطريق المسيحي من قتلى الجهل وعدم الفهم.

كما يلزم أن ننمو في القداسة في الحياة، ويتحدث كتبة العهد الجديد عن نمو إيماننا بالله ومحبتنا للناس، وتشابهنا للمسيح وكل واحد من أولاد الله يشتاق أن يكون مشابهاً أكثر فأكثر في أخلاقه وسلوكه وتصرفاته لابن الله الوحيد نفسه، فالحياة المسيحية حياة البر، ويجب أن نسعى لإطاعة وصية الله وعمل إرادة الله، وقد أُعطي لنا الروح القدس لهذه الغاية، وقد جعل أجسادنا هياكل لسكناه، وبقدر ما نسمح له أن يملأنا بقوته فإنه يخضع ويزيل رغائبنا الشريرة ويجعل أثماره تظهر فينا وهي: "محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعطف" (غلاطية 5: 16، 22، 23).

ولكن كيف ننمو؟ ما هي أسرار النجاح؟

هناك ثلاث مسؤوليات عظمى تقع على كاهل أولاد الله وهي:

1- واجبنا نحو الله:

مع أن صلتنا وانتسابنا للأب السماوي مضمونة مأمونة لكنها ليست مستقرة ثابتة، فإنه يطلب من أولاده أن ينمو في معرفته أكثر فأكثر، فقد اكتشفت أجيال المسيحيين بأن الطريق الوحيد إلى ذلك هو تعيين وقت خاص نصرفه أمام الله كل يوم وعساه ما يسميه البعض "تأملات هادئة" وهو أول شيء نقوم به في الصباح، وآخر شيء نعمله في المساء. وهي ضرورة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

لازمة لكل مسيحي يرغب في التقدم والنمو.. ومع أن أشغالنا كثيرة في هذا العصر إلا أنه يجب إعادة ترتيبها بحسب الأفضلية والأهمية بدرجة معها نعطي وقتاً لتأملاتنا الروحية، وهذا يعني التدقيق في تدريب النفس وترويضها وإن كتاباً مقدساً جميلاً وساعة منبه نستعين بها لتقودنا إلى طريق النصرة والنجاح.

وتشمل فترة الهدوء المنظمة قراءة الكتاب المقدس والصلاة وأقول قراءة الكتاب لأن الله يتكلم لنا فيه.. وأقول الصلاة لأننا بها نتكلم نحن مع الله، ومن الأهمية بمكان أن نقرأ الكتاب قراءة منتظمة، وهناك طرق كثيرة لقراءته منها أن نصلي قبل أن نقرأه طالبين من الروح القدس أن يفتح أبصارنا وبصائرنا، ثم أن نقرأ بعد ذلك ببطء وتأمل وتفكير.. اقرأ النص ثم أعد قراءته وتعلم كيف تصول وتجول في مراعي كلمة الله! كافح وصارع معها حتى تستوعب معناها! وقد يحتاج الأمر إلى ضرورة الاستعانة ببعض الترجمات أو التفاسير للكتاب، ومن ثم طبق على نفسك وظروفك، الرسالة التي جاءت في الأعداد التي قرأتها.. ابحث عن الوعود التي تتمسك بها وعن الوصايا التي يجب أن تطيعها وعن المُثل التي تتبعها وعن الخطايا التي ينبغي تجنبها.. ومما يساعدك على هذا أن تمسك بدفتر وقلم لتكتب ما تتعلمه في وقته وفوق الكل فتش عن الرب يسوع المسيح فهو الموضوع الرئيسي في الكتاب، فلا يكفي أن نجده معلناً هناك بل يجب أن نقابله شخصياً ونحن نقلب صفحات الكتاب.

وبديهي أن تأتي الصلاة بعد قراءة الكتاب أيضاً، وابدأها بالكلام مع الله عن نفس الموضوع الذي كلمك الله عنه! لا تغيّر الحديث، فإن كان قد كلمك عن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

شخصه ومجده، فاعبده وتمسك به وإن كان قد حدثك عن شخصك وخطاياك، فاعترف بها وارجع عنها.. اشكره من أجل أي – أو كلّ – بركة أعلنها لك في الجزء الذي قرأته، ثم صلِّ أن يعلمّك وأصحابك الدروس التي فيه! وعندما تصلي طالباً بركة الرب على الفصول الكتابية التي قرأتها، تجد نفسك مشتاقاً أن تتبعها بصلوات أخرى، وإذا كان كتابك المقدس هو معينك الأول في الصلاة، فإن مذكراتك وملاحظاتك اليومية معينك الثاني، وعليك أن تسلمه في الصباح كل أعمالك اليومية، وتراجع في المساء معه كل ما تم أثناء النهار معترفاً بخطاياك التي ارتكبتها، شاكراً من أجل البركات التي أخذتها، مصلياً من أجل الناس الذين قابلتهم.. واعلم أن الله هو أبوك فكن طبيعياً معه، واثقاً منه جريئاً أمامه، إنه يلتذ بكل شيء عن حياتك كبيراً كان أم صغيراً، ولن يمضي وقت طويل حتى ترى نفسك ملزماً أن تعمل لائحة بأسماء الأقارب والأصحاب الذين تحسب نفسك مسؤولاً عن الصلاة من أجلهم! ومن الحكمة أن تجعل هذه اللائحة مرنة يسهل زيادتها أو إنقاصها!

2- واجبنا نحو الكنيسة:

ليست الحياة المسيحية مراعاة مصالحنا الشخصية، فإن كنا قد ولدنا من فوق، ودخلنا ضمن أسرة الله فلن يكون الله أباً لنا فحسب ولكن يصير كل مؤمن مسيحي في العالم، مهما كان لونه أو جنسه أو مذهبه، أخاً أو أختاً لنا في المسيح.. ومن أهم أسماء المسيحيين وأعمقها في العهد الجديد، اسم "الأخوة".. يا له من حق مجيد! ولا فائدة في أن يظن أحد أن العضوية في كنيسة المسيح العامة كافية، بل يجب أن ننضم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

فعلاً إلى كنيسة معينة في البلد الذي فيه نقيم، وإن المكان لكل مسيحي هو أن يكون عضواً في كنيسته المحلية، يساهم في عبادهّا وشركتها وشهادهّا.. والمعمودية هي طريق الدخول إلى المجتمع المسيحي المنظور، وللمعمودية معانٍ أخرى أيضاً.. فإن كنـــت لم تتعمد بعد، أرجو أن تطلب من راعيك أن يعمدك، ثم اندمج في الشركة المســيحية حيث ترى الكثير هناك، مما يبدو غريباً عليك في أول الأمر، ولكن لا تقف متفرجاً بل واظب على حضور اجتماعات الكنيسة لأن هذا واجب مقدس، كما أن كل مذهب وكل كنيسة مسيحية تتفق على أن العشاء الرباني أو الشركة المقدسة خدمة رئيسية في الكنيسة لأننا بها نحيي موت مخلصنا في الشركة مع بعضنا البعض، وأرجو ألا يفهم من قولي أن الشركة هي مجرد حفلة في يوم الأحد، وقد أضيفت كلمة " فيلادلفيا" الــتي تعني "محبة الأخوة" من جديد في قاموس الأخوة المسيحية، وسيكتشف المسيحي أعماقاً جديدة في ميدان الأخوة المسيحية، حيث يكون ألصق أصدقاءه من المسيحيين، وفوق الكل يكون شريك الحياة مسيحياً أيضاً (2 كورنثوس 6: 14).

3- واجبنا نحو العالم:

إن الحياة المسيحية هي عمل عائلي، حيث يتمتع الأولاد بشركة حلوة مع أبيهم ومع بعضهم البعض، ولكن لا يخطر على البال أن هذا يخليهم من مسؤولياهّم، فمـــا كان المسيحيون – ولن يكونوا – جماعة ممن يغترون في أنفسهم ويهتمون بمصالحهم النفسانية الذاتية وممن يهتمون بأمورهم الشخصية فقط، ولكن بالعكس، لأن كـــل مسيحي حقيقي يهتم في قرارة نفسه بأقرانه الذين هم خارج الكنيســـة ويســـميهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

الكتاب "بالعالم" لأنهم لم يدخلوا بعد ضمن أسرة الله. وقد يدعوك الله إلى خدمة الإنجيل في بلادك أو يرسلك إلى حقل تبشيري.. ولا امتياز على الأرض أعظم من امتياز الخدمة.. فإن العالم متعطش إلى البشارة والكرازة.. وكم من ملايين من الناس لم يسمعوا بعد عن يسوع المسيح وعن خلاصه، وقد غطت الكنيسة في نوم عميق قروناً طويلة، فهل جاء الوقت لكي يستيقظ المسيحي ويربح العالم للمسيح؟ وربما يكون الله قد أعد لك عملاً خاصاً تعمله، فإن كنت طالباً تسير في غمرة الحياة نحو هدفك ومستقبلك، فمن الخطأ الفاحش أن تتسرع في شيء.. ولكن اطلب أولاً أن يكشف لك الله إرادته في حياتك ثم اخضع لها.

ومع أنه ليس بالطبع أن يُدعى كل مسيحي لكي يصير قسيساً أو مرسلاً، إلا أن الله يقصد أن يكون كل مسيحي شاهداً ليسوع المسيح وأن عليه مسؤولية خطيرة في السعي لربح النفوس، سواء أكان في بيته أم في كليته أم مع رفاقه أم في عمله! ولو أن المسيحي دمث الأخلاق كريم النفس أديب، ولكنه مستقر ثابت لا يتزعزع! وخير وسيلة تبدأ بها ربح النفوس هي الصلاة، فاطلب من الله أن يعطيك اهتماماً خاصاً بواحد أو اثنين من أصحابك، ومن الحكمة أن تحصر عملك في شخص أو اثنين من جنسك، ذكراً أم أنثى وفي مثل عمرك وصلِّ بانتظام وتحديد، لتغييرهما وتجديدهما مستفيداً بصداقتك لهما، ولا تبخل بوقتك عليهما وأحببهما من كل قلبك محبة خالصة.. وسيأتي الوقت الذي يمكنك فيه أن تصحبهما معك إلى خدمة أو اجتماع حيث يسمعان رسالة الإنجيل أو أن تعطيهما نبذات مسيحية للقراءة، أو أن تحدثهما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008

ببساطة عما فعله يسوع من أجلك وعما تشعر به نحوه وكيف وجدته.. ولا حاجة لي إلى القول، إن أبلغ شهادة نؤديها، تصبح عديمة التأثير أو الفائدة، إذا ناقضتها حياتنا وقدوتنا، ولا شهادة أعمق أثراً وأبعد مدى من شهادة حياة جددها المسيح وغيَّرها.

هذه هي امتيازات ومسؤوليات أولاد الله الذين إذ يولدون ضمن الأسرة المقدسة أسرة الله، ويتمتعون بالآب السماوي في علاقة وثيقة وصلة متينة بكل تأكيد وضمان واطمئنان، يتدربون في ساعات تأملاتهم اليومية الهادئة، مخلصين في عضوية كنائسهم ونشيطين في سعيهم وجهادهم، جادّين في صلاتهم وشهادتهم الشخصية لربح نفوس أصدقائهم للمسيح..

ولكنهم يعرفون دائماً بأنهم ليسوا من هذا العالم، ومع أن عليهم كمواطنين مسيحيين، واجبات مقدسة نحو بلادهم وأوطانهم، فإنهم في الوقت نفسه غرباء ونزلاء على الأرض، سائحين وسائرين إلى البيت الأبدي في السماء، ولذلك لا تغمرهم المصالح الشخصية والمطامع العالمية والملذات الجسدية، كما لا تثقل كاهلهم التجارب والأحزان في الحياة الحاضرة، متذكرين بأننا "إن كنا نتألم مع المسيح فلكي نتمجد معه" (رومية 8: 17) وإن عيني المسيحي تتجهان دائماً نحو الأفق، منتظرة مجيء الرب الذي قال: "أنا آتي سريعاً" قائلة: "نعم تعال أيها الرب يسوع".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 USA - All rights reserved © 2008